

تأليف

محمد بن عبد الله المقدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه.. وبعد:

فهذه كلماتٌ مختصرات ترصد تيّارًا ضاربًا بأطنَابه في عُمق التاريخ، دفعنا لذلك مظاهر متسارعة من أطراف الكيد العالميّ الباتِر، فنحاول -من خلالِ هذه القراءة- أن نرصد الواقع كما هو لا كما نُريده أن يكون، من غير تَهوين أو تَهويل، ديدَنُنا في ذلك قول الحقِّ، وحُكم العدل، علَّ منتفعًا بها أن يدعو لنَا بتوفيقٍ ورحمةٍ.

واللهَ أسأل أن يغفرَ لي ما قدمتُ وما أخرت، وما أسررتُ وما أعلنت، إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

وصلِّ اللّهم على نبيّنا محمَّد وآله وسلِّم...

محمَّد بن عبد الله المقديَ
Almagdy3@hotmail.com

تمهيد

لَئِن كان سُقوط الخلافةِ الرسميّ عام (١٩٢٤م) أهمَّ حدث في مسار المسلمين في القرن العشرين، فهل يُمكن اعتبار أحداث الحادي عشر من أيلول (٢٠٠١م) أهمَّ حدثٍ في القرن الحادي والعشرين سيوجِّه مسار علاقة المسلمين مع أنفسهم ومع العالم؟

ما يبرِّر هذا التَّساؤل أنَّ السَّنوات التي مضت على الحدَثِ لم تكن كافيةً لبروز وعيٍ إسلاميٍ بأهمية وخطورة مآلات ما حصَل، كما استمرت السِّياسات الإسلامية وكأنَّ شيئاً لم يحدث، ولم يتغيَّر فيها شيءٌ إلا بحجم وجدية الضغوط المفروضة من الخارج.

لقد أمسى التَّوافق العالميُّ ضدَّ هذا الدِّين حقيقةً واقعةً لا تحمل مجالاً للشك؛ سواء كان ذلك بصرف المسلمين عن دينهم جملة أو بإغراقهم في فَوضى عقائدية تشريعيَّة أدَاتُها التشكيك في المقدسات وتفتيت الجبهات المتماسكة - علميةً كانت أو عمليَّة- وذلك كلُّه مصداقًا لآياتٍ تترى من التَّنزيل الحكيم توضِّح كيد الزَائغين يهوداً كانوا أو نصارى وأتباعهم ممن عَمِيتْ بصيرتهم وخَبَى نور الوحي في قلوبهم..

ولا شكَّ أنَّ الُمتبَصِّرَ بالواقع المعاصر- الذي يزن قضاياه بميزان الشَّريعة المطهرة- لَيرى ذلك الاستهداف في صُعُدٍ متعددةٍ سواء منها السَّياسي أو العَسكري أو الاقتصادي أو الفِكري، ولا شك أنَّ مِنْ أخطر هذه الصُعُد هو الصَعيد الفِكري الذي يتبنَّى فيه طرح الشُبهات والإغراق في الشهوات، وذلك كلُّه مصداقاً لكلام الباري سبحانهُ وتَعالى: *مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ& [البقرة:١٠٥]، وقوله: *وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ& [البقرة:١٢٠]، وقوله: *وَدُّوا

لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً& [النساء:٨٩]، وقوله: *وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ& [البقرة:١٠٩]، وقوله: *وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا& [البقرة:٢١٧]، وقوله: *إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا& [الطارق:١٥]، ويقول أيضاً: *وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ& [الأنفال:٣٠].

ومن هذا الكَيد تجنيد بعض أهل الأَهواءِ المنتسبين لهذه الأمة –شعروا بذلك أو لم يشعروا- لِنْشَر باطلهم المتوافِق مع باطل أهل الكتاب إيهاناً للدِّيانة الإسلاميّة في عقيدتِها وإضلالاً للمسلمين في عبادتهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة / : «ولا ينفق الباطل في الوجود إلا بثوبٍ من الحقِّ، كما أنَّ أهل الكتابِ لَبسوا الحقَّ بالباطل؛ فبسبب الحقِّ اليَسير الذي معهم يُضلِّون خَلْقاً كثيراً عن الحقِّ الذي يجب الإيمان به ، ويدعونه إلى الباطل الكثير الذي هم عليه، وكثيراً ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييِّز بين الحقِّ والباطل ولا يُقيم الحجَّة التي تدحض باطلهم ولا يُبيِّن حجة الله التي أقامها برسله ؛ فيحصلُ بذلك فتنةً!»[1].

وقد ظهر لنا من خلال متابعةٍ مستمِرَّةٍ لهذا الكيد أن ثمَّة إرادة طامحة لتمكين الفكر الصوفي في واقع الأمَّة من خلال طرقٍ ومشاربَ عدَّةٍ ، تُعدُّ -تلك الطُّرق- أدوات لهدم العقيدة في النفوس، وإزهاقاً للعبادة الحقَّة، وإشاعة للتواكل وترك العمل والكَسْب، وإضعافاً لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآثار أُخر تراها في تضاعيف هذا الكتاب ...

ودرءاً للفتنة فإنَّا نحاول من خلال هذه الدِّراسَة تَبيين هذه الخطوات المتسارعة للتمكين في واقع الأمة المسلِّمة نصحاً للمسلمين وتبياناً لسبيل المجرمين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٤٠١).

مدخل

عن أبي أُمامَة البَاهليُّ ا قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتُنقَضنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروة، فكُلَّما انتقضت عُروة تشبَّث النَّاسُ بالتي تليها**»[١].

إنَّ حزب النقض كان ولا يزال يكيد لهذه الأمة، ويمكر بها، ويصدّها عن دينها، وإن المتتبع للمكر العالمي ليرى تبرُماً من ظهور نَهج أهل السُّنة والجَماعة في الفهم والسَّلوك، فأَجلَبوا عليه بخيلهم ورَجِلِهم.

وقد ظهر جليًا أنَّ مِنْ أهمَّ أهدافِ المخطَّط الأمريكي الموسُوم بمشروع «الشَّرق الأوسَط الكَبير» هو محاربة التيَّارات الإسلاميَّة التي تَتَصدَّى للعُدوانِ الأمريكي، وذلك تحت شعار: (محاربة الإرهاب)!! ويرى المروجون لهذا المشروع أنَّ القوة المادية: عسكريَّة كانت أم اقتصادية لا تكفي لهدم فكرة وبناء أخرى.

يقول بوول وولفيتز: (إنَّ معركتنا هي معركة الأفكار ومعركة العقُول، ولكي ننتصر على الإرهاب لا بد من الانتصار في ساحة الحرَب على الأفكار)[٢].

فلا بد - إذن - من تيَّارٍ إسلاميٍّ مُعارضٍ لتلك التيّارات مُنسجمٍ مع الرُؤية الأمريكية لمنطقة الشَّرق الأوَسط.

وقد عبَّر عن هذا التوجُّه مجموعة من المقالات صدرت في مجلة النيوز ويك **حول بناء اتّجاهات داخل الإسلام تراه كنظام للصَفاء الداخلي وليَس نظاماً للكَون والتشريع العام**، وقد اتّفقت على هذه الرُّؤية بعض النُّظم الحاكمة العربيَّة والإسلاميَّة والولايات المتَّحدة والغَرب،

---

(١) أحمد (٤/ ٢٣٢) (١٨٠٦٨)، (٥/ ٢٥١) (٢٢٢١٤) المستدرك (٤/ ١٠٤) (٧٠٢٢)، الطبراني في الكبير (٧/ ١٠٣) (٧٣٥٩)، ابن حبان (٢٧/ ٤٧١) (٦٨٣٩)، مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٢).

(٢) انظر: تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية. د. كمال حبيب (ص:٢٦٢).

وقد وجدوا بُغيتهم المنشودة في الجماعات الصُّوفية المنتشرَة في أرجَاء العَالم، فَبدءوا في تنفيذ مخطَّطاتهم عبر هذه الجماعات، والتي أبدَت في بعض الأحيان ترحيباً كبيرًا -إن لم يكن تاماً- في هذا الشَّأن.

يقول الفرنسي المسلم «إريك جيوفروي» المختص في الصوفية بجامعة لوكسمبورج- شمال فرنسا- في حوار صحفي: (وفي علاقتها بالحركات الإسلاميَّة بالذَّات **نجد أن الأنظمة العربية عَمِلت على إدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربَة الظَّاهرة الإسلاميَّة**، فوزير الأوقَاف المغربي أحمد التوفيق صوفي، كما أن الشيخ أحمد الطيب في مصر -وهو خلوتي- أصبح رئيس جامعة الأَزهر بعدَ أن كان مفتيًا للديار المصرية، وفي الجزائر نجد أن بوتَفليقَة قريبٌ جدًا من الصوفية، وهو ما بَرَزَ في حملته الأخيرة)[1].

ويؤكد «دانيال بايبس» **أنَّ الغَرب يسعى إلى مصَالحة (التصوف الإسلامي) ودعمه لكي يستطيع مِلء السَّاحة الدينيَّة والسَّياسية وفق ضوابط فَصل الدِّين عن الحياة، وإقصائه نهائيًا عن قَضايا السَّياسة والاقتصاد**، وبالطريقة نفسها التي استخدمت في تهميش المسيحيّة في أوروبا والولايات المتحدة[2].

أمَّا ستيفن شوارتز[3] فيقول: (ليست التعدُّدية الإسلاميّة فكرة جديدة نَشأت في الغرب وتُقدِّم كشفاء ناجع للغَضَب الإسلامي، بل إنَّها حقيقة قديمة ينطوي العالم الإسلامي على طَيفٍ واسعٍ من التفسيرات الدينيَّة، فإذا وجدنا في أحد أطراف الطَيف المذهب الوَهَّابي[4]

(١) حاوره: هادي يحمد، إسلام أون لاين تاريخ (٢٠/ ٠٦/ ٢٠٠٤م). وانظر أيضاً: صحيفة الراية القطرية الأحد (٣٠/ ١/ ٢٠٠٥ م).

(٢) صحيفة (الزمان) - عدد (١٦٣٣)، تاريخ (١٢/ ١٠/ ٢٠٠٣م)، وهو رئيس منتدى الشرق الأوسط بالولايات المتحدة.

(٣) صاحب كتاب «وجها الإسلام: الأصولية السعودية ودورها في الإرهاب».

(٤) هذه الأوصاف ليست غريبة على أمثاله، إذ يتوقع منهم مع الشنئان الفجور في الخصومة.

المُتعصِّب الذي يتَّصف بالقَسوة والاستبداد ما يجعله أشبه بالإيديولوجية العربيَّة الرسميَّة السائِدة منه بالمذهب الديني، فإننا نجد في الطرف الآخر التعاليم المتنورة للصوفية، لا تؤكد هذه التعاليم على الحوار داخل الإسلام وعلى الفصل بين السُّلطة الرُّوحيَّة وسُّلطة رجَال الدِّين وعلى التَّعليم باللُّغة المحليَّة فحسْب، بل إنّها تحترم أيضًا جميع المؤمنين، سَواءً كانوا مُسلمين أو مَسيحيين أو يَهود أو هُندوسيين أو بُوذيين أو من ديانات أُخرى، تُشدِّد الصُّوفية علاوةً على ذلك على التزامها باللُّطف والتَّفاعُل والتَّعاون المُتبادَل بين المؤمنين بغضِّ النَّظر عن مذاهِبهم...

إنَّ تأريخ الصُّوفية مَليءٌ بأمثلة عن التَّلاحُم بين العقائد على عكس النَّزْعَة الانفصالية المتشدِّدة التي تُميز الأُصولية الإسلامِيَّة، يُشارك الصُّوفيون البلقان والأتراك المسيحيِّين في الأماكن المقدَّسة، وما زال الصُّوفيون في آسيا الوسطى يحتفظون بالتَّقاليد الموروثة عن الشامان والبوذيين، كما تكيّف الصُّوفيون في أفريقيا الغربية الناطِقَة بالفرنسيَّة مع العادات المحليَّة، وكذلك الأمر بالنسبة للصوفيين في تُركستان الشرقية الذين اقتبسوا من التَّعاليم الصينيَّة مثل الكونفوشيَّة والطاويَّة إضافة إلى تعلُّمهم فنون القِتال دفاعًا عن النفس.

لقد قبل الصُّوفيون في البلقان وتركيا ووسط آسيَا العلمانيَّة كمتراس ضد التعصُب الديني واحتكار رجال الدين للأفكار الدينية..).

وقال أيضًا: (يمكن أن نرى نموذجًا آخر حيث الصوفية هي الشَّكل المُهيمِن من الإسلام وذلك في بلاد تمتد من أفريقيا الغربية الناطقة بالفرنسيَّة والمغرب إلى البلقان وتركيا وآسيَا الوُسطى ومن الهِند إلى إندونيسيا، أثَّرت الصُّوفية هنا تأثيرًا عميقًا على الثقافات المحليَّة مما سهَّل وجود المواقف العلمانيةَّ إضافة إلى التَّعايش السِّلمي مع غير المسلمين، ليس بمحض الصدفة أن المملكة المغربيَّة وتركيًّا وإندونيسيا التي ينتشر فيها جميعًا الإسلام الصوفي هي الدول التي يُعتبر أنها تحمل أفضل الإمكانيات لنشوء الديمقراطيات الإسلامية...).

ثم يقول: (إذا أخذنا هذه الصورة المتنوعة بعين الاعتبار، فكيف يجب على الصوفية أن

تدخل في الاستراتيجية الأمريكية للتعامل مع العالم الإسلامي؟

من الواضح جدًا أن على الأمريكيين أن يتعلَّموا المزيد عن الصُّوفية وأن يتعاملوا مع شُيوخها ومريديها، وأن يتعرَّفوا على ميولها الأساسية... يجب على أعضاء السِّلك الدبلوماسي الأمريكي في المدن الإسلاميَّة من بريشتينا في كوسوفو إلى كشغار في غرب الصِّين، ومن فاس في المغرب إلى عاصمة إندونيسيا جاكرتا أن يضعوا الصُّوفيين المحليين على قائمة زياراتهم الدورية. يجب أن ينتهز الطُّلاب الأمريكيون ورجال الأعمال وعمَّال الإغاثة والسَّائحون فرص التعرف على الصُّوفيين، الأهم من ذلك أنَّ أي شخص داخل أو خارج الحكومة يشغل موقعًا يسمح له بالتَّأثير على مناقشة ورسم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط يمكنه أن يستفيد من فهم هذا التقليد الفطري من التَّسامح الإسلامي)[(١)].

وتقول الكاتبة فارينا علم -وهي تمثل شريحة من الصُّوفية الموجودة في الغرب-: (إنَّ الروحانيَّة الإسلامية - الصُّوفية- تعتبر الجزء المكمل لحياة المسلم الدينية، وقد قدم أولياء وشُيوخ الصُّوفية نظرة منهجية لمعرفة الله تستند على تلاوة الابتهالات، والتدرب على تطوير شخصيَّة ورِعَة قويمة، بغية إذلال الأَنَا وتكريس النفس لخدمة المجتمع، ومن الممكن أن تصبح الصُّوفية اليوم - بتركيزها على القيم الإسلامية المشتركة ووضع الأهداف السامية نصب عينيها - بمثابة قوة كبيرة مضادة للإسلام السِّياسي المُجاهد).

وتستطرد قائلة: (وقد حذرت التعاليم الإسلامية الكلاسيكية علماء الدين من التقربُّ الكبير من السلطة السياسية)[(٢)].

يقول دانيال بايبس: (إنَّ هناك أخبارًا سارة: إنَّ فكرة أنَّ الإسلام المتطرف والعنفي هو

---

(١) عن مجلة ويكلي ستاندرد «The Weekly Standard»، (٧) شباط (٢٠٠٥م).

(٢) بقلم فارينا علم، المقال على موقع(opendemocracy) وهو بعنوان المبادئ الخمس لمستقبل الإسلام في (٢٧/ ٤/ ٢٠٠٥م) وهي صحفية بريطانية من أصل بنغلاديشي مقيمة في لندن وترأس تحرير مجلة (q-news).

المشكلة، وأن الإسلام المعتدل هو الحل تلقى رواجًا واسعًا مع الوقت... كذلك فإنَّ أشخاصًا بارزين مثل أحمد صُبحي منصور ومحمد هشام قباني يرفعون أصواتهم..)[١].

يقول المستشرق الأمريكي «مايكل ساليس» أستاذ الأديان بجامعة هارفارد الأمريكية: (إنَّ علينا أن نُبطل الفكرة التي تقول: إنَّ الإسلام وجهًا واحدًا، وإن هذا الوجه هو الإرهاب والعُنف وكُره الغربيين.

وإذا ذكرت للرأي العام الغربي **أنَّ هنالك في الإسلام أناساً يؤمنون بالحبِّ والتسامح والتعايُش، وإنَّ فيه الكثير من الرموز التاريخيين في هذا المستوى أمثال ابن عربي، والشُّعراء مثل حافظ الشيرازي، وجلال الدِّين الرُّومي** وغيرهم كثير، في السَّابق واللَّاحق، لكنّ الغربيين في عمومهم لن يصدقوا)[٢].

---

(١) نيويورك صن.. (٢٣/ ١١/ ٢٠٠٤م) للكاتب النصراني المتعصب دانيال بايبس وهو رئيس مؤسسة «منبر الشرق الأوسط للأبحاث»، ومقره ولاية فلادلفيا، وله كتابات عدة في التهجم على الإسلام والمسلمين، وقد قام مؤخرًا بإنشاء «مركز التعددية الإسلامية»، أعلن أن الهدف منه هو «تشجيع الإسلام المعتدل في الولايات المتحدة والعالم»، ومحاربة نفوذ الإسلام المسلح، وإحباط جهود المنظمات ذات التوجه «الوهابي» المتطرف-على حد قوله- من خلال وسائل الإعلام، وبالتعاون مع المنظمات الحكومية الأمريكية. أما عن مسئولي المركز وعن مصادر تمويله، فمديره أمريكي مسلم اسمه ستيفن شوارتز، كان شيوعيًا متطرفًا (تروتسكيا)، ثم دخل في الإسلام من باب التصوف، وأصبحت معركته في الحياة هي مواصلة الحرب ضد ما يسميه الوهابية، أما مساعده فهو أزهري مصري اسمه الدكتور أحمد صبحي منصور، كان قد فصل من الأزهر في الثمانينيات بسبب إنكاره للسنة النبوية، ومن أبرز الداعمين للمشروع نائب وزير الدفاع الأمريكي -سابقاً- بوول وولفيتز (مهندس الحرب على العراق، وأحد أبرز اليهود الناشطين بين المحافظين الجدد ورئيس البنك الدولي مؤخرًا) وجيمس وولسي مدير المخابرات المركزية السابق. وكالة "انترناشيونال برس سيرفيس في (٧/ ٤/ ٢٠٠٤م).

(٢) جريدة الخليج ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٥

توصيات وتقارير

التَّشجيع الغَربي للحركات الصُّوفية:

يقول الباحث د. عبد الوهاب المسيري: (ممَّا له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصُّوفية، ومن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلَّفات محيي الدين ابن عربي وأشعار جلال الدِّين الرومي.

وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينيَّة بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفيَّة، فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي...)(١).

ويؤكد المستشرق الألماني «شتيفان رايشموت» أستاذ علم الإسلاميَّات وتاريخ الإسلام بجامعة بوخوم، أنَّ (**مستقبل العالم الإسلامي سيكون حتمًا للتيار الصوفي**)(٢).

ومن الجدير بالملاحظة أنَّه في عام (٢٠٠١م) أطلقت مجموعة من الخطابات السِّياسية حول الإسلام الذي يريده الغربيُّون. فقد شرح رئيس الوزراء البريطاني المقصود بهذا في خطاب موجَّه للزُّعماء والمسئولين في الدول الإسلامية، دعاهم فيه إلى أن يعملوا جاهدين على أن يهيمن الإسلام (العادي أو الرئيس) (استخدم لفظ **main stream**) بحيث يخضع له جميع المسلمين في شتَّى أنحاء العالم.

والفكرة ذاتها عبَّر عنها وزير الخارجية الأمريكي السَّابق «كولين باول» في شهر نوفمبر

---

(١)-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/٧FF٧٩FD٠-٠٢C٩-٤٩EA-A١٦٠-D٥٥١٩١٢A٣٣B٢.htm

(٢) من مقال بعنوان: (الصوفية.. هل تكون النموذج الأمريكي للتغيير؟) د. عمار علي حسن.. تاريخ (٢٦/ ٢/ ٢٠٠٥م) على موقع إسلام أون لاين.

(٢٠٠١م) في خطاب ألقاه في جامعة «لويسفيل» بولاية كنتاكي، حيث أشار إلى تبلور رؤية أمريكيَّة للمجتمعات الإسلاميَّة تقوم على أساس من قيم مُعينة تمسُّ التَّكْوين الثَّقافي والسياسي والعَقدي لتلك المجتمعات[١].

وفي يناير عام (٢٠٠١م) أقيم المؤتمر العالمي الأول لدراسات الشرق الأوسط والذي عُقد بمدينة ماينز الألمانيَّة، وقد كان برنامج المؤتمر مُكتظًا بالبحوث والدراسات المتنوعة، أما ما يتعلق بالإسلام والحضارة الإسلامية فثمَّة بحثان هما: الإسلام الحديث والطريقة النَّقْشَبنديَّة - المجددية الصُّوفية، والأولياء الصُّوفيون وغير الصُّوفيين[٢].

تقرير راند:

في صَيْف عام (٢٠٠٢م) أصدرت مؤسسة (راند)[٣] البحثية مقالة[٤] عكست فيها

---

(١) الأهرام: (١٨-١٢-٢٠٠١). مقال بعنوان: فرض: «الإسلام المعدّل» بعد (١١) سبتمبر (٢٠٠١م) (١٤/ ٠١/ ٢٠٠٢م). وانظر أيضاً: صحيفة السفير اللبنانية في (٢٢/ ٩/ ٢٠٠١م).

(٢) أقيم هذا المؤتمر بجامعة يوهانسن جوتنبرج، كما أن المبادرة التي عقدت جاءت من رابطة دراسات الشرق الأوسط في أمريكا الشمالية، وتقرر أن يعقد تحت الإشراف المشترك لهذه الرابطة والرابطة الأوروبية لدراسات الشرق الأوسط، والروابط الفرنسية والألمانية والبريطانية والإيطالية لدراسات العالمين العربي والإسلامي، وقد حضره ألفا باحث وعالم ومفكر، كما شارك في المؤتمر قرابة الألف من السياسيين الرسميين وغير الرسميين.. الأهرام عدد (٤٢١٢٦) (٢٥ محرم ١٤٢٣هـ) الموافق (٨ إبريل ٢٠٠٢م).

(٣) تأسست هذه المؤسسة منذ خمسين سنة، وهي مؤسسة غير ربحية ترتكز على إيجاد حلول للتحديات التي تواجه القطاعات العامة والخاصة في العالم.

(٤) التقرير من صياغة «شاريل بينارد» وهي متزوجة من «زلماي خليل زاده» الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، وكبير مستشاري الأمن القومي المسئول عن الخليج العربي وجنوب شرق آسيا، وقد عُين سفيرًا للولايات المتحدة لدى العراق، ويعتبر خليل زاده الأمريكي من أصل أفغاني الوحيد الذي ينتمي إلى المحافظين الجدد ويعرف بآرائه المتطرفة. التقرير من ترجمة وتحرير: شيرين حامد فهمي (١٨/ ٥/ ٢٠٠٤م) ومجلة المجتمع (١٠-٠٧-٢٠٠٤م) وانظر أيضاً: مجلة الحوادث الأسبوعية في عددها (٢٤٩٥) (٢٠-٢٧/ ٨/ ٢٠٠٤م).

رُؤيتَها للفُروقات والتَّباينات بين الفِئَات والجماعات الإسلاميَّة المختلفة في العالمين العربي والإسلامي، وسوف نورد منه بعض الفقرات التي تبين مدى اهتمام الغرب بالصُّوفية أو ما يسمُّونه بالإسلام التَّقليدي.

يقول التقرير:

(ومن الواضح أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية بل العالمَ الصناعي المتمدن بأسره يفضلون عالَمًا إسلاميًا يتماشى مع بقية النظام؛ أي: عالماً إسلاميًا يتَّسم: بالديمُقراطيَّة، بالقابلية للنمو، بالاستقرار السِّياسي، بالتَّقدم الاجتماعي، بالتبعيَّة لقوانين ومعايير السُّلوك الدولي. هذا بالإضافة إلى أنَّ هذا العالم الإسلامي «المُفضَّل» مُلزم بالمساهمة في منع أي (صِدَام للحضَارات)، بكل صوره المتاحة والممكنة الممتدة من القلاقل المحلية المتصاعدة بسبب الصِّراعات بين الأقليَّات المسلِّمة والمواطنين (الأصليين) في الغرب إلى العمليات العسكرية المتصاعدة عبر العالم الإسلامي، وما ينتج عنها من إرهاب وعدم استقرار..

ومن ثم.. فإنه من الحكمة والاتِّزان تشجيع تلك العناصر -المتواجِدة في داخل الخلطة الإسلاميَّة- التي تُظهر أكبر قَدْر ممكن من التعاطُف والانسجَام تجاه السَّلام العالمي، والمجتمع الدولي والدِّيمُقراطية والحَدَاثة، إلا أنَّ الأمر لا يبدو بهذه السُّهولة؛ فتعريف تلك العناصر وإيجاد الأسلوب الأمثل والأنسب للتعامل معها ليس بالأمر الهيِّن..).

ثمَّ رصد التقرير أربعة عناصر متواجدة في الساحة الإسلامية وهي:

- الأصوليون الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية الراهنة، فهم يبغون دولة سُلطويَّة مُتزمِّتة، تطبِّق رؤيتهم المتشدِّدة للقانون الإسلامي، إلا أنهم لا يُمانعون استخدام التكنولوجيا الحديثة للوصول إلى هدفهم..

- التقليديون الذين يسعون إلى خلق مجتمع محافظ، مع الابتعاد قدر الإمكان عن كل ما

يمتُّ بالتغيير والتجديد والحداثة..

- الحداثيون (أهل الحداثة) الذين يبغون عالمًا إسلاميًا مندمجًا في داخل الحداثة العالميَّة؛ مما يَستلزم - من وجهة نظرهم - تحديث الإسلام وتغييره ليتماشى ويتواكب مع ظروف العَصر..

- العلمانيُّون الذين يريدون عالمًا إسلاميًا مُختزِلًا للدِّين في الدوائر الخاصة على غرار الدِّيمُقراطيات الغربيَّة؛ حيث الفصل بين الدولة والكنيسة..

ثم يوصي التَّقرير بوصايا متعددة للتعامل مع هذه التَّصنيفات ومن هذه الوصايا:

-تأييد الاتِّجاه الصُّوفي ونشره والدَّعوة إليه..

يقول الأستاذ فهمي هويدي مُعلِّقًا على التَّقرير حول هذه النقطة: (وفي حين تطرح العَلْمنَة حلًا لمشكلة الأمة الإسلاميَّة، فإن التَّقرير لا يُخفي دعوةً صريحةً إلى تشجيع التَّصوف، وهو ما يعد نوعًا من الدعوة إلى التعلُّق بما يمكن أن نسميه بـ(الإسلام الانسحَابي)، الذي يقلِّص التَّدين في دائرة (روحية) لا يتجاوز حدودها، فهو يتحدث صراحة عن أهمية (تعزيز الصُّوفية) و(تشجيع البلدان ذات التقاليد الصُّوفية القويَّة على التَّركيز على ذلك الجانب من تاريخها، وعلى إدخاله ضمن مناهجها الدِّراسيَّة) بل ويُلِحُّ على ذلك في عبارة أقرب إلى الأمر تقول: لا بد من توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصُّوفي)[1].

(١) صحيفة الأهرام (١٠/ ٨/ ٢٠٠٤م). العدد (٤٢٩٨١).

مؤتمر
فهم الصُّوفية والدُّور الذي ستلعبه
في رسم السِّياسة الأمريكيَّة[1]

في (٢٤) أكتوبر (٢٠٠٣م) استضاف مركز نيكسون مُؤتَمر برنامج الأمن الدوَلي في واشنطن لاستكشَاف مدَى دَور الصُّوفية -الجماعة الروحيَّة في الإسلام- فيما يتعلق بأهداف سياسة الخارجيَّة الأمريكيَّة. كان الغرض من الاجتماع تعريف صناع السِّياسة الأمريكية والمجتمع السِّياسي لهذا الجزء المهمل إلى حدٍ ما من الإسلام، وغالبًا ما يُشار إلى أنه (الثقافة الإسلامية) يعتنق الصوفية ملايين الناس في جميع أنحاء العالم، بما فيها الولايات المتحدة.

ونظرًا لأهميَّة هذا المؤتمر سنستعرض بعض النقاط المهمة وأهم توصيات أوراق العمل التي وردت فيه من خلال الملخَّصَات التي بين أيدينا:

وقد عُقِد المؤتمر في ثلاث جلسات واحدة منها سرية :

الجلسة الأولى: حول الصُّوفية، التَّأريخ، الفَلسفَة (اللاهوت)، الجماعات:

تقول الدكتوره «هديَّة مير»: (لقد جلب انهيار الامبراطُوريَّة العُثمانيَّة موجةً جديدةً من الاعتقادات في العالم الإسلامي، والتي كان يُراد منها توحيد المسلمين في قوة سياسيَّة تُوجَّه ضد أوروبا والولايات المتَّحدة، وهذه الأيدلوجيَّة الجديدة غالبًا ما يشار إليها بالوَهَّابيَّة

(١) انظر: صحيفة عكاظ في (١٤/ ١١/ ١٤٢٤هـ الموافق:٦/ ١/ ٢٠٠٤م) العدد (٦٣٢) مقال بعنوان: (ماذا يحدث في مركز نيكسون؟) فهدة آل سعود، وانظر أيضًا: ترجمة لملخصات المؤتمر على هذا الرابط: http://www.alsoufia.com.

(والتي أحيانًا يطلق عليها اليوم بالسَّلفيَّة) ولقد وصفت هذه الأيدلوجيَّة لمعتقديها بأنَّها محاولة لتخليص الطُّقوس الإسلاميَّة حول العالم من بِدَع الصُّوفية وغيرها المتأثرة بالغرب.

ثم اقترحت ثلاث طرق مهمَّة عن كيف يمكن للولايات المتَّحدة أن تستطيع المساعدة في تدعيم التَّصوف، تقول:

(أولًا: الحفاظ على أو إعادة بناء الأضرحة للأولياء ومراكزهم التعليميّة المرتبطة بهم، لإعادة هيبة النَّاس لها.

ثانيًا: إعادة تذكير الناس بهذه الأماكن وبناء جسور التَّسَامح والفهم.

ثالثًا: يُمْكن أن يكون للولايات المتحدة دورًا مُفيدًا في إنشاء وتمويل مراكز تعليميَّة تركِّز على التاريخ القديم والحضارة القديمة في الإقليم، مع التَّركيز على أسبَقيَّة وجود التسامح الديني والأُثيني بوجه خاص، كما يمكن أن تساعد تلك المراكز المجتمع بإعادة تأهيل أولئك الشَّباب الذين تحرَّروا من عُدوانيَّة الفِكر الوَهَّابي).

أما في الجلسَة الثانية: وهي حول الصُّوفية في أوروبا وآسيا:

يقول البروفيسور «ألان جود لاس» من قسم الدراسَات الدينيَّة بجامعة جورجيا: (ومن حسن الحظ أن بعض دول وسط آسيا قد أدركت مدى أهميَّة استفادة الثقافة الصُّوفية بالنِّسبة لمجتمعاتها، ففي أوزبكِستان كان هناك تزايد في نشر أعمال حول الصُّوفية وحول الصُّوفيين مثل بَهاء الدِّين النَقشْبندي ونجم الدِّين كبرى، وفي أواخر العام (٢٠٠٤م) دعمت الدولة نشر أحد الأعمال المهمِّة من الأدب الصَّوفي لوسط آسيا يدعى (لغة الطُّيور).

ويقترح «**ألان جود لاس» أنَّ العنصر الآخر لأي محاولة لإعادة بناء الهويَّة الصُّوفية في أوزبكِستان يجب أن يكون بدعم الطَّريقة الصُّوفيَّة النَّقْشَبنديَّة التقليديَّة على وجه الخصوص،**

حيث تمتلك هذه الطَّريقة التَّقليديَّة موطئ قدمٍ في البلدة، فأكبر مدرسة في آسيا الوسطى يقودَها أحد النَقْشبنديِّين كما هو الحال في لجنة الدِّراسات الدِّينيَّة التَّابعة للدَّولة.

ثم يلخِّص مُقتَرحاته بقوله: سيكون من الجيِّد أن تدعم الولايات المتحدة محاولات كلِّ دولة لإحياء هويتها الصُّوفيَّة المحليَّة ودمجها مع الهويَّة الوطنيَّة لكل منها، من خلال:

١- تشجيع نشر أعمال حول الصُّوفيِّين المحليِّين ونشر ترجمات للنُّصوص الصُّوفية الكلاسيكيَّة (الصوفيِّين المحليِّين) باللُّغات المحليَّة الحديثة وبالإنجليزيَّة (مع العلم بأهميَّة واتِّساع رقعة اللُّغة الإنجليزيَّة بين الشباب على وجه الخصوص).

٢- تشجيع دمج القِيَم الصُّوفية مع قِيَم المجتمع المدني في المؤسسات التعليميَّة.

٣- نصح مختلف أمم آسيا الوسطى بتبيين موقفاً منفتحاً تجاه إحياء النَّقْشَبنديَّة على وجه الخُصوص.

٤- تشجيع إحيَاء الثَّقافة والأدب الصُّوفيين تحديدًا فيما يتصل بالتَّقاليد الموجودة المتعلِّقة بزيارة المقامات في كل دولة، وقد تمَّ مؤخرًا في إقليم مختلف تمامًا بالرغم من أنَّه لم يعانِ من التَّدخُلات الوَهَّابية وهو المغرب بتنفيذ برنامج مشابه يهدف لإحياء الصُّوفية المحليَّة التَّقليديَّة دون أن تكون هناك مساعدات أمريكيَّة.

ولكن لماذا يراد إحياء التصوف؟

يجيب «برنارد لويس» عن هذا التَّساؤل الهام بقوله: (إذا رجعنا إلى الصُّوفيَّة فنجد بأن الصُّوفية تقدِّم شيئًا أفضل من السَّماحة، فالمنهج للنَّاس الذين لهم ديانات أخرى غربية، فقد عرض بالكتابة الصُّوفية ولم يكن له نظير في التوافق والانسجام ، فمثلًا: نجد قصائد روميَّة عن ابن عربي باللغة التُّركيَّة تشير إلى أن كلَّ الأديان متشابهة ولها نفس الغرض ونفس الرِّسالة ونفس الاتصال، وكلُّهم يعبدون الله، ولكنْ هناك اختلاف بسيط، فالله في الكنيسَة هو الله في المسجد).

ويؤكد كلامه بقوله: (ولذا فنحن مواجَهون بالأسئلة التالية: **هل نحن كأمريكيِّين سندعم الصُّوفيِّين أم سنعمل مع الوَهَّابيِّين؟** وإذا عملنا مع الوَهَّابيين فإنَّنا سنخاطر بالعمل مع الإرهابيِّين بينما ليس هناك خطر مع الصُّوفيِّين).

وفي نهاية المؤتمر كان ثمَّة تساؤلاتٍ من الحضور للمحاضرين نُثْبِت منها:

لقد سُئِل المستشارون عمَّا إذا كان الصُّوفيون يستطيعون تلبية وتنفيذ اهتمامات معظم المسلمين، والمتمثلة في مطالبهم السِّياسية البسيطة، إضافةً إلى احتياجاتهم الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وذلك مقارنة بما يحدث ويتمُّ تنفيذه في العالم الغربي، وبهذا العمل يمكن تحجيم انتشار الوهَّابيَّة؟

وقد خَلُصَ الشَّيخ قبَّاني إلى أنَّ الصوفية يستطيعون أن يلعبوا دورًا كبيرًا في تأسيس وبناء جسور بين مختلف الثَّقافات في كافة المجتمعات في جميع البلدان، إذا أعطيت الفرصة للصُّوفية وتمَّ تشجيعهم، فسوف يكونون قادرين على إنجاز الكثير على طريق السلام.

السؤال الأخير للمشاركين في النِّقاش كان عن مقترحات قدمت لحكومة الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة حول تطوير الحوار مع العالم الإسلامي، قال لويس ببَساطة: «أنا أقترح أن يكون الحوار مع الشَّيخ القبَّاني».

لكن من هو هشام قبَّاني الذي نَصَح بالتعامل معه برنارد لويس[١]؟

(١) ولد برنارد لويس في لندن عام (١٩١٦م)، وهو مستشرق بريطاني الأصل، يهودي الديانة، صهيوني الانتماء، أمريكي الجنسية، تخرج من جامعة لندن سنة (١٩٣٦م)، ودرس في باريس، وتتلمذ على كل من ماسينيون الذي كان يعنى عناية خاصة بتاريخ الفرق الإسلامية وبالتصوف، وعلى هاملتون جب الذي نال على يديه الدكتوراه عن أطروحته في تاريخ الإسماعيلية، وهو يعد مستشارًا مسموع الرأي عند المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، وقد خصه بوول وولفيتز بتحية مدوية خلال حفل تكريمي أقيم له في تل أبيب في مارس (٢٠٠٢م) بقوله: (علَّمنا برنارد لويس كيف نفهم التاريخ المعقد والمهم للشرق الأوسط واستخدامه ليقودنا نحو المرحلة الجدية لبناء عالم أفضل للأجيال الصاعدة) وقد قام =

محمد هشام قباني النقشبندي

ينتمي الشَّيخ محمَّد هشام قبَّاني للصُّوفية النَّقْشَبنديَّة، وهو صهر الشَّيخ (ناظم حقَّاني) - شيخ الطريقة النَّقْشَبنديَّة- ومندوبه في الولايات المتَّحدة، ويمكن اعتباره حلقة الوصل الأساسيَّة بين الإدارة الأمريكيَّة والأوساط الفكريَّة الغربيَّة وبين الطريقة النَّقْشَبنديَّة الصُّوفية، أو ما أصبح الآن مُصطلحًا رائجًا في الأوساط الغربيَّة الفكريَّة وهو (الإسلام الكلاسيكي).

يعتبره أنصاره العالِم الواعِد والمبشِّر بتعاليم السَّلام والتسامح والاحترام والمحبَّة، والتي هي مبادئ الإسلام كما يزعمون، والمؤمنون يعلمون كَذب تلك الدَّعاوي؛ لأنهم يركِّزون على الجوانب السِّلبيَّة في هذه المعاني العظيمة ويَنسِفُون عقيدة الولاء والبراء، وقد مضى على قباني في الولايات المتَّحدة ما يزيد عن خمس عشرة سنة تقريبًا.

أما بالنسبة لخلفيَّاته، فهو لبناني من عائلة مشهورة هي عائلة القبَّاني، وقد تخرج

= لويس بقيادة الإدارة نحو مرحلة جديدة في العراق، وكان قد أوضح أن اجتياح هذا البلد سيخلق فجرًا جديدًا بينما ستستقبل القوات الأمريكية كقوات تحرير، وقد كان من المبشرين بصدام الحضارات منذ عام (١٩٥٧م). يقول الأستاذ جلال أمين عن برنارد: (..رجل نشر في الستين عامًا الماضية عددًا كبيرًا من الكتب التاريخية عن العرب والمسلمين والشرق الأوسط، تفصح عن علم واسع وانكباب طويل على المصادر التاريخية الأصيلة ما أكسبه شهرة كمؤرخ خبير بأي شيء يتعلق بالإسلام، ولكن لا رغبة عنده ألبتة في ذكر الحقيقة الكاملة عن الإسلام بل لديه دافع قوي للغاية بسبب ولائه للصهيونية لذكر ما يسيء إلى الإسلام والمسلمين). انظر: مجلة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية في (١٠/ ٩/ ٢٠٠٤م) وانظر أيضًا: صحيفة الوطن الإثنين (٥/ شوال / ١٤٢٦هـ- الموافق ٧/ نوفمبر/ ٢٠٠٥م) العدد: (١٨٥٦) وللتوسع حول هذا الرجل انظر: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر للدكتور مازن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة- رمضان (١٤١٤هـ).

باختصاص الكيمياء من الجامعة الأمريكيَّة في بيروت، وحصل على شهادة في الفقه الإسلامي من دمشق في سوريا، والتقى مع الشَّيخ عبد الله الداغستاني(١) وكذلك وريثه الشَّيخ ناظم حقَّاني، وهو يحمل إجازة من حقَّاني بقيادة وتدريس الطريقة النَّقْشَبنديَّة.

وقد اهتمَّ قبَّاني بالأعمال التنظيميَّة؛ فقد ساهم في تأسيس عدد من المؤسَّسات في أمريكا، من أهمِّها: (المجلس الإسلاميِّ الأعلى) والذي يهدف إلى رسم مستقبل المسلمين في أمريكا وفي أرجاء العالم.

وقد اعترف بهذا المجلس صانعو القَّرار في أمريكا والأكاديميون باعتباره المجلس المختص والأفضل في طرح (الإسلام الكلاسيكي) حسب تصنيفهم.

وقد قدَّم قباني في يناير عام (١٩٩٩م) محاضرة في وزارة الداخلية الأمريكية بعنوان (التطرُّف الإسلامي وخطورته على الأمن القوميِّ الأمريكيِّ) وعلَّق فيما بعد بأن حدسَه كان صائبًا بتوقعه لأحداث (١١/ ٩/ ٢٠٠١م)، وأوضح لهم أنَّهم كصُّوفيِّين يبقون هم المتحدِّثون

(١) هو عبد الله الفائز الداغستاني ولد عام (١٣٠٩هـ) من النَّقْشَبنديِّين المعاصرين، من أقواله: (إذا تكلمت بما وُضع في قلبي من المعرفة الإلهية لقام حتى الأولياء بقطع رقبتي). ويقول: (دخلت العزلة مع أمر بأن أستحم كل يوم ست مرات بالماء البارد، وأن أحافظ على كل واجباتي اليومية من الأوراد، بالإضافة لذلك من سبعة إلى خمسة عشر جزءًا من القرآن، وأن أكرر اسم الله (١٤٨.٠٠٠) مرة، والصلاة على الرسول ﷺ (٢٤.٠٠٠) مرة). بعد هذه العزلة عاد الشيخ عبد الله لرؤية والدته أسبوعًا أو أسبوعين، ثم ذهب إلى الحرب فيما سمي حينئذ بسفر برلك، وهناك أصيب بطلقة قاتلة في قلبه، ولكن الرسول جاء وأخبره قائلًا: (يا بني، لقد كان مقدرًا لك أن تموت هنا، ولكننا ما نزال بحاجة لك على هذه الأرض، بروحك وجسدك، وسأريك كيف يموت الإنسان، وكيف يأخذ ملك الموت روحه) وبعد هذه التجربة الفريدة، وبعد رؤية الجنان السبع والجحيم، قال له الرسول ﷺ: (يا بني! سوف أعيدك الآن إلى الأرض وإلى جسدك)!! وله الكثير من الضلال والزندقة، نسأل الله السلامة.. انظر ترجمته في كتاب النقشبندية المعاصرة (ص:٨٢).

الأهم عن الجمعيَّات الإسلاميَّة لمحاربة الإرهاب والتجمُّعات المتطرِّفة الدينيَّة[١].

علمًا بأن علاقة هذا المجلس بالبيت الأبيض قويةٌ جدًا، بل هم يمارسون دور المستشارين عن الإسلام، ويساعدون الأمريكان في رسم سياستهم الخارجيَّة والداخلية التي تؤثر على مستقبل الشُّعوب والمجتمعات الإسلاميَّة، وعادةً ما تتِمُّ المقابلات الرُّوتينيَّة بين أعضاء هذا المجلس وبين (بوول وولفيتز) نائب وزير الدفاع الأمريكي لمناقشة الإسلام والحرب على الإرهاب... حتى إن «ولوفتس» لقب الشَّيخ القبَّاني: بـ (الرجل الشجاع والأهم بأمريكا)!! لأنه يبشِّر بالقِيَم مثل (كرامة الإنسان، حريَّة الرَّأي، العدالة المتساوية، احترام المرأة والتسامح الديني)!! كما أن السيناتور الجمهوري (دايل كلدي) أثنى على المجلس وعلى (مسجد ومؤسَّسة الصديق) وهو المسجد الوحيد الذي افتتح بعد أحداث (١١/ ٩) ويتبع لمجلسهم، وذلك في جلسة الكونغرس في (١٦/ نوفمبر/ ٢٠٠١م) وقال عنهم: (إنَّهم يمثِّلون الإسلام الحقيقي المتسامح)[٢].

ويعتبر قبّاني من الدعاة النشطين جدًا في تبليغ دعوته، وتكفي نظرة سريعة لجدول رحلاته لمعرفة أنه قد زار تايلاند وإندونيسيا وماليزيا وأوزبكِستان[٣] وباكِستان والهند وسيريلانكا واليابان وتُركيا وانجلترا وإسبانيا والمغرب وبلاد الشَّام وغيرها من الدول.

واستُقبل في هذه الرحلات -وبعضها كان مع شيخه ناظم حقَّاني- استقبالًا رسميًا وعلى مستوياتٍ عليا، مما يدلل على حجم النَّقْشَبنديَّة وكثرة مريديها، وحاجة الحكَّام دائمًا لأصوات تتمسَّح بالدِّين كي تساعدها.

---

(١) انظر مثلًا: **http://www.sunnah.org/about/shaykh_muhammad_hisham_kabbani.htm**

(٢) انظر للمزيد عن هذا الرجل: كتاب النقشبندية المعاصرة (ص:٩٠) وما بعدها.

(٣) سأشير إلى هذه الزيارة بعد قليل.

وقد اشتهر الشيخ قبَّاني بكراهيته لأهل السُّنة - يسمِّيهم وهابية- وعدائه الشديد لهم، حتى إنَّه لما سئل في صحيفة صنداي استريت تايمز(١):

هل تقول: إنَّ الوَّهابية هي المصدر الرئيس للإرهاب؟

أجاب: (بالطبع نعم؛ فإن الإسلام ظلَّ مسالمًا ولا يسمح بالعدوان، إلا أنَّ أصحاب المذهب الوهابي نشروا الأفكار المتطرِّفة ومولوها بأموال النِّفط، اليوم نجد الوهَّابية في كل مكان وليست فقط في السُّعودية، وإذا ذهبت إلى أي مسجد ستجد الكتب القادمة من السُّعودية عن محمَّد بن عبد الوهاب (مؤسِّس الوهَّابية) ولن تجد إلا الكتب التي كتبها علماء السعودية).

وكان من ضمن إجابته على سؤال طرحته الصحيفة في نفس العدد هو:

كيف يمكن الحدّ من نشاط الوهابيين؟

فردَّ قائلًا:

(علّموا الطلاب الصُّوفية، حيث يجب أن يتعلَّم الطُّلاب كيف يصبحون محبِّين للسَّلام وكيف يصبحون جزءًا من المجتمع الكبير، فالوهَّابية تحرِّض الطلاب على ألَّا يكونوا جزءًا من المجتمع الكافر، ولكن ينبغي الاندماج والتكامل مع النِّظام الذي يعيش فيه المرء، ففي سنغافورة مثلًا ينبغي أن يكون المرء جزءًا من نظامه الفريد، فلا تستطيع القول: أنا مسلم وأن الآخر صينيّ، فكلا المسلم والصيني مواطن خاضع لنظام معيَّن، أما الدِّين فمسألة بين المرء وبين الرَّب، هكذا يقول الإسلام، ودعني أقترح بعدم استيراد العلماء فهم يأتون من الشرق الأوسط وأفريقيا وهم يحمِلون عقليَّة البلاد التي أتوا منها، والرأي عندي هو أن يكون التدريس في الجامعات من المقررات التي يوافق عليها العلماء الحديثيون والمعتدلون).

---

(١) صحيفة صنداي استريت تايمز بتاريخ (١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م).

تحريض قبَّاني للحكومة الأمريكية ضد أهل السنة:

وقد قامت وزارة الخارجية الأمريكية بنشر وتوزيع جلسة استماع للشيخ محمَّد هشام قبَّاني، وقد جاء نشر هذه الأشرطة بعد مطالبات عديدة من قبل مؤسَّسات إسلاميَّة للاطلاع على فحوى جلسات الاستماع التي لم يُعلَن عنها، والتي طُلِبَ من الراغبين في حضورها الحصول على تصريحٍ أمنيٍ للحضور.

وقد تطرق قبَّاني في هذه الجلسة لقضايا الأمن القوميِّ والتطرُّف، ولأهميَّة وخطورة ما ذكر في الجلسة نقتطف منها بعض المقاطع، علمًا أن بعض المؤسسات الإسلامية تقرر أن تقوم بنشر كافَّة وقائع الجلسة على الشَّبكة الدُّولية وكذلك شريط الفيديو.

بدأ قبَّانيُّ حديثه قائلًا: (أريد الحديث إليكم بصراحة ومن باب تقديم النَّصيحة إلى حكومة الولايات المتَّحدة الأمريكية وإدارتها حتى ينتبهوا إلى الخطر الكبير الذي يمكن أن يؤدِّي في النهاية إلى قيام اضطرابات في الولايات المتَّحدة، وهذه المشكلة التي أتحدث عنها والتي تهدِّد الأمن القومي للولايات المتحدة هنا يمكن أن تتفاقم إذا لم تَقْدُم القيادة بالتحرك السريع لمواجهتها ووقْفِها.

إنَّنا نريد أن ننصح حكومتنا الأمريكيِّة وأعضاء الكونغرس أن هناك شيئًا كبيرًا يدور وأنتم لا تعرفونه، وهو أنَّه يوجد العديد من المساجد في الولايات المتَّحدة، وأن الحكومة الأمريكيَّة ليست لها سياسة تجاه هذه المساجد لتنظم عملها كما هو حاصل في الدُّول الإسلاميَّة حيث لا يُسمح بفتح المساجد هكذا، ولهذا لا يوجد فكر متطرف في هذه الدول الإسلامية، وإن وُجِدَ تقوم الحكومة بطردهم من المساجد وإبدالهم بالعلماء التقليديِّين.

وأخطر شيءٍ يدور في هذه المساجد هو هذا الفكر المتطرِّف، وأصحابه نشيطون للغاية، وهؤلاء سيطروا على (٨٠٪) من المساجد في أمريكا والتي يصل عددها إلى ثلاثة آلاف

مسجدٍ، ولهذا يمكن القول: إنَّ الفكر المتطرف هذا ينتشر بين (٨٠٪) من المسلمين خصوصًا الشَّباب والجيل الجديد...).

وقد تطرَّق الحديث بعدها للمنظمات الإسلامية، فقال: (يجب أن تنظر الحكومة الأمريكيَّة في المنظَّمات الإسلاميَّة، والتي تتحدث باسم المسلمين على أساس أنَّها مؤسَّسات متطرِّفة، لكنَّ هؤلاء استطاعوا خطف الميكرفون، وبصفتهم متحدِّثون بارعون أعطوا فكرةً خاطئةً عن الإسلام وما خفي كان أعظم).

ويضيف قائلًا: (لقد نصبوا العداء للصوفية بشكل مطلق؛ لأنهم -أي: الوهَّابيين- يؤمِّنون أنَّه بإمكانك أن تصل إلى الله مباشرةً دون الحاجة لقديس-ولي- أو أي شخص آخر بإمكانه مساعدتك، المسلمون التقليديون وعلى مر (١٣٠٠) إلى (١٤٠٠) سنة -وإلى يومنا هذا- يؤمنون أنَّه بالإمكان أن يكون هناك وسيطٌ بينك وبين الله، هذه العقيدة -الوهَّابية- تحرِّم هذا الأمر تحريمًا كاملًا، ولكنَّها لم تتَّخذ طابعًا تنظيميًا إلا من فترة قريبة، حيث تمكنت من دعم تواجدها في عدة مناطق في العالم، للأسف فقد تنامى نُفُوذُهم في بلدانٍ عديدةٍ).

ويستمر في قوله: (وتمَّ مؤخرًا الكشف في أوروبا بين لندن وفرنسا وكل أوروبا عن شبكةٍ كبيرةٍ من النساء[1] تديرها نساء مسلمات يتغطين من فوق إلى تحت خلال النهار، أمَّا في الليل فيقمن علاقات مع مسئولين كبار من مختلف دول العالم للحصول على المعلومات منهم وتوصيلها للمُتطرفين).

ثمَّ دار الحديث عن إسرائيل، فقال قبَّاني في معرض جلسة الاستماع: (وحتَّى في إسرائيل حيث وُقِّعَت اتِّفاقية سلام معها، ولا أقول: إنها قبلت من كافَّة الدول الإسلاميَّة، لكن معظمها قَبِلَها ووافق عليها، ولذا فإن القتال أصبح غير شرعي، وخصوصًا في ظل وجود قيادةٍ شرعيةٍ ديمقراطيةٍ منتخبةٍ من قبل الفلسطينيين ممثلة في عرفات).

(١) صحيفة عربية ادعت ذلك.

وفي ردِّه على سؤال بعض الحضور: إذا ما أنتجت حكومة إسرائيليَّة متطرِّفة تخلُف الحكومة المتطرِّفة الحاليَّة، هل من المصلحة لنا أن ندين هذا التطرُّف؟ وهل هذه الإدانة ستقرّبنا من المسلمين وتعمل على حمايتنا في الولايات المتَّحدة؟

أجاب قبَّاني قائلًا: (علينا أولًا أن نرى إن كان الافتراض صحيحًا، وهل ستكون هناك حكومة متطرفة أم لا، وما هو تعريف التطرف وغير التطرف.. هذه قضيِّة راجعة للشَّعب الإسرائيلي، ولذا لا أستطيع القول بأن الحكومة متطرِّفة أم لا.. هذا راجع للشعب الإسرائيلي..)[1]. هذا هو كلام أكبر صُوفيٍ في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة!!

سأل أحد الطُّرُقيِّين الشَّيخ عبد الحميد بن باديس / قائلًا له: مالك تجافينا؟ فرد عليه ابن باديس أنَّه ليس ما يؤاخذه عليهم -أي: الصُّوفية- سوى ارتباطهم بالاستعمار، ونصحه بالقول: «تحرَّروا من فرنسا، ويداي ممدودتان لكم»[2].

أمَّا ما يتعلق بزيارة قبَّاني لأوزبكِستان فقد كشفَت مصادر أوزبكِية[3] عن تنظيم السلطات الأوزبكِية حاليًا لحملة دعائيَّة واسعة تشارك فيها وسائل الإعلام الرسميَّة على أوسع نطاق تهدف إلى الترويج لحرص النِّظام والرَّئيس (كريموف) على الإسلام، وقد فوجئ الشَّعب الأوزبكيُّ بأن الذي يقود هذه الحملة رجلٌ من خارج أوزبكِستان يدعى (محمَّد هشام قبَّاني)، ويتميَّز بلباسه القريب من لباس الجماعات الصُّوفيَّة، ويعرّف نفسه في وسائل الإعلام الأوزبكيَّة بأنه رئيس (المجلس الإسلامي الأعلى) في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة.

---

(١) صحيفة الزيتون - العدد (١٨٥) السنة الثامنة (١٠) ذو القعدة (١٤١٩هـ).

(٢) انظر: لقاء للشيخ عبد الرحمن شيبان -رئيس جمعية العلماء المسلمين- مع صحيفة البيان - الخميس (٢٧ أكتوبر ٢٠٠٥م)، (٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ) السنة السادسة والعشرون، العدد (٩٢٦٢).

(٣) انظر: موقع أوزبكستان المسلمة:

..http://www.muslimuzbekistan.com/arb/arabic.htm

وانظر: أيضًا إسلام أون لاين.نت (١٠-٥-٢٠٠١م) (Islam on line.net).

وقد تعرَّف عليه الرَّئيس (كريموف) خلال حضوره قمة الألفيَّة الأخيرة في الولايات المتحدة، بعدها قام هذا الرجل بثلاث زيارات لأوزبكِستان أُحيطت بدعاية إعلاميَّة واسعة.

حيث كانت زيارته الأولى في سبتمبر الماضي، وشارك في مؤتمر (السَّلام بين الأديان) الذي عقد في العاصمة الأوزبكيَّة (طشقَند) وخلال هذا المؤتمر برز بين المؤتمرين بتصريحاتٍ غريبةٍ لاقت اهتمام وسائل الإعلام وزعم فيها: أنَّ الرئيس (كريموف) هو ظلُّ الله في الأرض!![1]، وأنَّه نعمة كبرى أنعم الله بها على أوزبكِستان؛ ولذا فإنَّ كلَّ من يعارضه فهو عاصٍ فاسقٌ كافر!! كما أفتى بأنَّ المسلم يكفيه من الإسلام النطق بالشَّهادتين ولا يلزمه بعد ذلك صومٌ ولا صلاةٌ؛ فالإسلام في القلب وكفى، كما أفتى بجواز عدم ارتداء الحجاب!

(١) أفادت مصادر أوزبكية: أن السلطات الأوزبكية أغلقت حتى الآن (٣٤٠٠) مسجد من بين (٥) آلاف، وحوّلت معظمها إلى: متاحف ومقاهٍ ومكتبات ومصحات، ومن بين هذه المساجد مسجد (قوقاند) وهو من المساجد العريقة والمشهورة، والذي حُوّل إلى متحف في العهد الشيوعي، ثم فتح للصلاة في عهد (جورباتشوف)، لكنه عاد متحفًا في العهد الحالي مرة أخرى! كما أغلقت (٣٥) مدرسة إسلامية من بين(٤٠) مدرسة وكانت السلطات قد استدعت في وقت سابق وبقرار مفاجئ جميع الطلاب الذين يدرسون في بلاد إسلامية سواء كانت دراستهم في العلوم الدينية أو العلوم المدنية، وعددهم (١٦٠) طالبًا من الدارسين في الأزهر و(٢٠٠٠) طالب كانوا يدرسون في الجامعات التركية، و(٤٠) طالبًا في السعودية، وتم إدخالهم السجون عقب عودتهم مباشرة بتهمة اعتناق الفكر الوهابي.

وتضيف المصادر: أنه تم التشديد على حظر إطلاق اللحية خاصة بين الشباب، وسمح بها فقط لأئمة المساجد التي حظر عليها إطلاق الأذان للصلاة من خلال مكبرات الصوت، كما تم فصل العشرات من الفتيات والنساء اللاتي رفضن خلع الحجاب من المدارس والوظائف، وقد بلغ عدد المعتقلين في السجون الأوزبكية أكثر من (٥٠) ألف شخص بينهم مائة امرأة، بتهمة اعتناق الأفكار الوهابية (نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب). ويعاني هؤلاء المعتقلون -كما تقول المصادر الأوزبكية- تعذيبًا شديدًا يصل إلى درجة الموت، ويتم تسليم جثث قتلى يوميًا إلى ذويهم. فهل من يقوم بهذا هو ظل الله في الأرض؟!!

انظر http://www.muslimuzbekistan.com/arb/arabic.htm. وانظر أيضاً: إسلام أون لاين.نت (١٠-٥-٢٠٠١م).

وكرَّر محمَّد هشام قبَّاني زيارته لأوزبكِستان في ديسمبر الماضي، مصطحبًا معه شيخه (محمَّد ناظم حقَّاني)، وقد احتفى بهما الرئيس (كريموف) ووسائل الإعلام.

وفي أواخر إبريل الماضي قام قبَّاني بزيارته الثالثة، مصطحبًا معه وفدًا يضمُّ (١٢٠) شخصًا، وقد انتشر أعضاء هذا الوفد في المدن والقرى الأوزبكية في لقاءات جماهيريَّة مع البسطاء من النَّاس، مردِّدين نفس دعاوى (قبَّاني) عن (كريموف)، والأفكار نفسها التي تزعُم أنَّه يكفي المسلم من الإسلام النُّطق بالشَّهادتين ولا يكون عليه تكاليف بعد ذلك، كما أنَّه لا يتحمل وزرًا إذا شرب الخمر أو زنى... إلخ![1].

وقد أحدثت هذه الأفكار بلبلةً بين عامة المسلمين الذين تعدُّ معرفتهم بالإسلام يسيرة؛ بسبب فترة الانقطاع عن الدِّين لفترة طويلة خلال الحكم القَيصَري ثم الحكم الشُّيوعي[2].

ونودُّ أن نُنبِّه هنا أن هذا الرجل لا يعدُّ حالة فردية في الطُّرقيَّة المعاصرين بل يعدُّ أنموذجًا لحالة معمَّمة بين نشطاء الطُّرقية –ذات التوجُّه الأمريكي –ونحن إنَّما استطْردنا في ذكر كيده لأهل السُّنة وفي تأصيله الضَّلالة والإضلال لنقيس ما طُوِيَ على ما ذُكِر.

---

(١) النقشبندية المعاصرة (٩٢).

(٢) للأسف الشديد فإن هذه المناطق المسلمة تعاني من جهل شديد بأصول الديانة خاصة إبان الحكم الشيوعي، يقول (مصطفى جميل أوغلوا) رئيس الجمعية الوطنية بالقرم عقب انهيار الاتحاد السوفييتي: (نعم لم نعد نعرف كيف نصلي، لكننا نؤمن بالله ربًا وبسيدنا محمد رسولًا نبيًا، ونعرف أننا على الإسلام نحيا وعلى الإسلام نموت، لكنا لا نعرف هذا الجمال الذي يملأ قلوبنا والذي في سبيله قاومنا الشيوعية.. إني آمر –الآن– بأن يرفع الأذان في كل المساجد التي أغلقها الشيوعيون ويرفع خمس مرات في اليوم، إلى أن يتعلم شعبنا كيف يصلي، ساعتها يكون الأذان ومعه تقام الصلاة في كل أرجاء بلادنا القرم) ومع هذا الجهل الشديد نرى هذا الرجل متصديًا ومتصدرًا للدعوة هناك!.. انظر: الإسلام في آسيا الوسطى والبلقان محمد حرب، البشائر الإسلامية بيروت (١٩٩٥م).

خطوات متتابعة

في تقريرٍ نشرَته مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكيَّة بعنوان (عُقول وقُلوب ودُولارات) نُشِر عام (٢٠٠٥م) ويهدف إلى استراتيجيَّة تدعى «الوصول إلى العالم الإسلامي» (**Muslim World Outreach**) وينصُّ التقرير على **أنَّ الولايات المتَّحدة وحلفاءها لديها مصلحة أمنيَّة قوميَّة لا فيما يحدث في العالم الإسلامي فقط وإنَّما فيما يحدث داخل الإسلام نفسه**.

يقول التقرير في إحدى فقراته: (**يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصُّوفية بأفرعها العالميَّة قد تكون واحدًا من أفضل الأسلحة**، فالصُّوفية بطرقها الباطنيَّة تمثل برأيهم توجهًا مناقضًا للطوائف الأصوليَّة كالوهَّابيَّة التي يمنع أشدُّ أئمتها تعصبًا «الموسيقى والرَّقص لا بل حتى الحبَّ الرومانسي»، ولكن الصُّوفية تعود، ولها اليوم عشرات ملايين من الأتباع المخلصين في آسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وأفريقيا الغربيَّة، ناهيك عن مئات الملايين ممن يتَّبعون التقاليد الصُّوفية، وهناك صراعات حادَّة بين الوهَّابيين والصُّوفيين على الصَّعيد الأيديولوجي لفتت أنظار صُنَّاع السِّياسة الأمريكيَّة بشدَّة، وبينما لا يستطيع الرسميُّون الأمريكيون أن يقروا الصُّوفية علنًا، بسبب فصل الدين عن الدُّولة في الدستور الأمريكي، فإنهم يدفعون علنًا باتجاه تعزيز العلاقة مع الحركة الصُّوفية، وهناك بالمقابل مجموعة صُوفية في واشنطن نفسها تسعى لتعزيز العلاقة مع الإدارة الأمريكيَّة.

وتقول مديرة هذه المجموعة، واسمها هادية مير أحمدي: (الهدف يجب أن يكون الحفاظ على تلك الأشياء التي تُشكِل النقيض الأيديولوجي للإسلام الجهادي).

ومن بين البنود المقترحة هنا: (استخدام المعونة الأمريكيَّة لترميم المزارات الصُّوفية

في الخارج والحفاظ على أو ترجمة مخطوطاتها الكلاسيكية التي تعود إلى القرون الوسطى، ودفع الحكومات لتشجيع نهضة صوفيَّة في بلادها).

ونقلت المجلة الأمريكية عنهم أنَّ واشنطن قامت بتمويل محطات إذاعة إسلاميَّة وبرامج تليفزيونيَّة ونظَّمت «دورات تعليميَّة» في المدارس البحثية وورش العمل السِّياسية للترويج للإسلام المعتدل في أكثر من (٢٤) دولة إسلامية على الأقل.

كما سعت إلى ترميم المساجد وإنشاء المدارس الإسلامية من خلال المساعدات الأمريكية.

كما موَّلت الإدارة الأمريكية تدريب أئمة المساجد وعمليات ترميم مساجد وآثار إسلامية في (٩) دول، منها: مِصر وتركمانِستان وإندونيسيا وباكستان وقيرغيزستان وأوزبِكستان[1].

إنها مخططات واضحة جليَّة ودراسات تعي ما تريد وتخطِّط لما تطرح بخطوات ثابتة، بل وتوصِي مثل هذه الدراسات بأن لا تقوم الولايات المتحدة بتدريب الأئمَّة المحليين في المساجد والمراكز الإسلامية لدعم الصُّوفية بنفسها، بل تموِّل في ذلك السُّلطات المحلية، على أن يتم بشكل موازٍ دعم التعليم العلماني في هذه المنطقة جنبًا إلى جنب **مع تقديم مِنَح ماليَّة لترميم ورعاية الأضرِحَة الصَّوفية والعناية بالمخطوطات والتراث الثقافي الصوفي**.

والخطوة الأكثر أهميَّة هي تعيين أئمة وخطباء مساجد، وتخصيص مناصب وزارية للمتعاطفين مع الصُّوفية بحيث يتم إعادة ترتيب الأدمغة التي «أفسدها» الأصوليون «قليلو البضاعة الفقهية».

---

(١) انظر: الملحق الأسبوعي للعرب اليوم الأردنية في (٢٥/ ٤/ ٢٠٠٥م)، وانظر أيضًا: الطبعة الإلكترونية من مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكية العدد (٢٥-٤-٢٠٠٥م) Us news and world Report.

إذاً: نحن أمام سيناريو يعيد إلى الأذهان الأسلوب السُّوفيتِي القديم الذي اعتمد على احتضان ما اصطَّلح على تسميته بإسلام السُّلطة (Official Islam) في مقابل ممارسات إسلاميَّة تخضع للمراقبة والمتابعة الأمنية تعيش تحت الأرض، سُمِّيَت في ذلك العهد بالإسلام السِّري أو الموازي (Parallel Islam)[1].

في (١٦/ ١٠/ ١٤٢٦هـ) حضر مولد البدوي السَّفير الأمريكي في القاهرة معلنًا إعجابه الشديد بعالم التَّصوف الإسلامي، لافتًا إلى ما تنطوي عليه الصُّوفية من تسامح، وما تجسِّده من قيم ومبادئ إسلاميَّة رفيعة مثل الحقِّ والخير والجمال![2].

وقد طلب السَّفير الأمريكي «فرنسيس ريتشارد دوني» مقابلة فضيلة الشَّيخ حسن الشنَّاوي شيخ مشايخ الطُّرق الصُّوفية، وقد تمت المقابلة في مقر المشيخة العامة بالحسين، وقد أوضح السَّفير الأمريكي اهتمامه بالتصُّوف منذ الصِّغر حيث تربَّى تربيةً صوفيةً مسيحيَّة على يد أحد القسَاوسِة الكاثوليك الذين نهجوا منهج الاعتدال الدِّيني ونشر السماحة والحب والإيمان بين مريديه[3].

تقول وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للشُّئون العالمية: (يجب أن نفكر خارج الإطار التقليدي ونوظِّف وسائل خلاَّقة للنُّهوض بالحرية الدينية، وهنا أُفكِّر في تمويل علماء مسلمين، أو أئمة، أو صلوات أخرى للمسلمين).

---

(١) www.aljazeera.net/NR/exeres من مقال بعنوان: استدعاء الصوفية.

(٢) انظر: صحيفة الخليج "الإماراتية" الصادرة في (١٧/ شوال/ ١٤٢٦م) الموافق: (١٩/ نوفمبر/ ٢٠٠٥م) العدد (٩٦٨٠). وانظر: صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في (١٦/ شوال/ ١٤٢٦هـ) وقد توالى حضوره في ذاك العيد البدعي بل انتسب للطريقة الأحمدية وصار مريداً فيها!

(٣) مجلة التصوف الإسلامي العدد (٣٢٣) ذو القعدة (١٤٢٦هـ) ديسمبر (٢٠٠٥م).

ويشرح مسئول بوزارة الخارجية المسألة بقوله: (إنَّنا نريد ضمَّ مزيد من علماء المسلمين إلى برامج التبادل الثقافي التي تمولها أمريكا... والهدف هو دعم أصوات التَّسامح في الدول الأخرى)[1].

ذكرت صحيفة الوطن العربي أن السَّفير الأمريكي في المغرب العربي وزوجه حضرا (السَّهرة الصُّوفية) التي أقامها في الرباط شيخ الطَّريقة البوتشيشية، وقد علق بعض الدبلوماسيين الغربيين على هذه الزيارة بقوله: (إنَّ إدارة الرئيس بوش باتت تنتهج أسلوبًا جديدًا في محاربة الإرهاب، يقوم على تشجيع واحتضان الإسلام المعتدل الذي تطلق عليه وزيرة الخارجية الأمريكية تعبيرًا بالإنجليزية إسلام لايت)[2].

في (٢/ ١١/ ٢٠٠٧) حضر السَّفير الأمريكي «ريتشارد دوني» مولد أحمد البدوي بطنطا، وصرَّح أثناء الزيارة عن استعداده للمكوث في طنطا بعد انتهاء عمله وإحالته إلى التقاعد، ليكون بالقرب من مكان المولد الذي يجمع بين شعور الحبّ والودّ والتلقائية والتسامح -بحسب زعمه-، وقد نقلت وسائل الإعلام أن السَّفير ريتشارد دوني «أخذ العهد» من أحد شيوخ الصُّوفية في مولد السَّيد البدوي، وهو مصطلحٌ يعني أنه أصبح من أتباع ذلك الشَّيخ أو من مريديه[3]!

وتقول وزيرة الخارجية البريطانية في صراحَة متناهية: (وتسعى الحكومة البريطانيَّة جاهدًة إلى استعمال القريبين منها من المسلمين، لضرب أو لتهميش المتطرفين، أو منتقدي سياساتها).

وقد جرى الحديث في الأسابيع الأخيرة على توجُّه رسمي لإظهار التيَّارات الصُّوفيَّة

---

(١) انظر: تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية د.كمال حبيب (٢١٤).

(٢) الوطن العربي (٥/ ٥/ ٢٠٠٦م).

(٣) صحيفة المصري في (٢/ ١١/ ٢٠٠٧م).

والأحمدية على حساب المسلمين المعروفين بانتقاداتهم للحكومة، لاسيما في موضوع العراق وفلسطين[(١)].

- تركيا الصُّوفية العلمانيَّة ومشروع الشَّرق الأوسط الكبير:

في (٣٠/ ١/ ٢٠٠٤م) نشرت صحيفة (يني شفق) التركيَّة خبرًا مفادَه أنَّ الرَّئيس الأمريكي (جورج بوش) عرض على رئيس الوزراء التُّركي (رجب طيِّب أردوغان) خلال استقباله في البيت الأبيض في (٢٨/ ١/ ٢٠٠٤م) معالم المشروع الأمريكي الجديد لـ(الشَّرق الأوسط الكبير)، الذي يمتد من المغرب حتى إندونيسيا، مرورًا بجنوب آسيا وآسيا الوسطى والقوقاز.

وحسب ما جاء في الصَّحيفة فإنَّ المشروع طبقًا لما عرضه الرئيس الأمريكي، جعل من تركيا عمودًا فقريًا، حيث تريد واشنطن منها أن تقوم بدورٍ محوريٍ فيه، حيث تتولى التَّرويج لنموذجها الديمقراطي واعتدالها الدِّيني، لدرجة أن الرَّئيس الأمريكي اقترح أن تبادر تركيا إلى إرسال وعَّاظ وأئمة إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي لكي يتولوا التَّبشير بنموذج الاعتدال المطبق في بلادهم، وأن هذا النُّموذج هو الأصلح للتطبيق في العالم الإسلامي، ومن ثمَّ الأجدر بالتعميم لأسبابٍ ثلاثة:

أولها: أنَّه ملتزم بالعلمانية التي تهمِّش دور الدين إلى حدٍّ كبير، بل وتعارض أي دورٍ للدِّين في الحياة العامة.

السبب الثاني: أنَّ تركيا تَعتبِر نفسها جزءًا من الغرب، وموالاتها للولايات المتَّحدة ثابتة ولا شُبهة فيها، وبالتَّالي فهي تُعدُّ جزءًا من العائلة الغربيَّة، وتحتفظ مع العالم الإسلامي بعلاقات شكليَّة.

---

(١) وكالة قدس برس انترناشيونال في (١٤/ نوفمبر)

http://www.qudspress.com/look/sarticle.tpl?IdLanguage=١٧&IdPublication=١&NrArticle=٥٠٥٦&NrIssue=١&NrSection=٣

السبب الثالث: أنَّ تركيا لها علاقاتها الوثيقة مع إسرائيل، الأمر الذي يلقى ترحيبًا وتشجيعًا كبيرين من جانب واشنطن ودول الاتِّحاد الأوروبي(١).

النموذج التركي.. الهدف.. كل هذه العوامل أسرعت بالدَّفع بخيار الحوار مع الإسلاميين المعتدلين في المنطقة إلى المقدِّمة، نموذج حزب العدالة والتنمية التركي بزعامة رجب طيِّب أردوغان في طبعته العربية هو ما تحلُم الإدارة الأمريكية بتسيِّيده في المنطقة(٢).

---

(١) صحيفة (يني شفق التركية) في (٣٠/ ١/ ٢٠٠٤م) وانظر أيضًا:

http://abbc.net/Houidi/resister/turki.htm.

(٢) www.islamonline.net/Arabic/politics/ من مقال بعنوان "فزاعة" الإسلاميين.. حتى الانتفاع ينتقل لواشنطن، من المعلوم لكل متابع التهافت الشديد من قبل السلطة في تركيا على الانضمام للاتحاد الأوروبي والذي بدوره استغل الفرصة وبدأ يملي شروطه على الحكومة التركية إلى درجة التدخل في القوانين التركية الداخلية.

فعندما نوقش قانون الجزاء التركي تم تعديله بحيث تحاكم المرأة إذا لجأ زوجها إلى المحاكم يتهمها بالزنا.. وعلى الفور صاح الأوروبيون وقالوا: هل ستدخلون الإسلام وأخلاقيات الإسلام في تشريعات دولة تطلب الانضمام إلى أوروبا! فسحبوا التعديل واعتذروا للأوروبيين.

بطاقة الهوية التي يحملها التركي تتضمن ديانة حاملها بذكر كونه مسلمًا أو غير ذلك.. وتدخل الأوروبيون مرة أخرى.. وطالبوا بحذف الدين من بطاقة الهوية.. وعندما استجابت الحكومة علق أحد النواب.. بأنهم لن يدخلوا إلى أوروبا إلا بعد أن ينتزعوا منا ديننا.

اجتمع رئيس الوزراء التركي مع مديري المصارف.. وعندما سأله مدير أحد المصارف الإسلامية عن الفائدة الربوية قال: هذا نظام عالمي لا بد من الالتزام به.

عندما خرجت مئات الألوف من الطالبات المحجبات في مظاهرات في جميع المدن التركية يطالبن بإعادتهن إلى مدارسهن وجامعاتهن باعتبار الحجاب حرية فردية وأمرًا دينيًا.. لا يجوز أن تتدخل فيه الحكومة ..واعترض الجيش ..واعترضت أوروبا.. وقالا: الحجاب هو تعبير عن الهوية الإسلامية لا يمكن القبول به.. وعندما سئل رئيس الوزراء عن ذلك.. قال: ليست هذه من أولوياتنا.

بقيت بعض التعديلات طلبها الاتحاد الأوروبي ولم يوافق عليها إلى الآن رئيس الوزراء التركي وهي مقدار العقوبة التي يتحملها المعلم أو الأب إذا علم ابنه القرآن في البيت قبل أن يبلغ الحادية عشرة من عمره .. انظر: مجلة المجتمع العدد (١٦٦٤) رجب (١٤٢٦هـ) الموافق أغسطس (٢٠٠٥م).

وفي تقرير (عُقول وقُلوب ودولارات) آنف الذكر يقرِّر أنَّه لا بدَّ من حلٍّ لمشكلة التيَّارات الإسلامية وأن هناك حلاً للمشكلة أخذ يشق طريقه بمساندةٍ من الولايات المتَّحدة لإصلاحيين تجمعهم رابطة بالصَّوفية التي تُعتبَر فرعًا متسامحًا من فروع الإسلام[(١)].

وتؤكِّد بعض التقارير (أنَّ هناك تطوراتٍ تشير إلى أنَّهم يبحثون عن ضالَّتهم في الجماعات الإسلاميَّة التُّركيَّة التي يغلُب على معظمها الصِّبغة الصُّوفية بأشكالها المختلفة... واستنادًا لتقارير نشرتها بعض الصُّحف التُّركية خلال الأيام الأخيرة، فإن مسئولين من السَّفارة الأمريكية في أنقَرة، قاموا بزياراتٍ إلى بعض الجماعات الإسلامية والمؤسَّسات الخيريَّة لدراسة مدى شعبية ونفوذ كلِّ جماعة، وتُشير المصادر نفسها إلى أن الأمريكيين يعرضون على زعماء الجماعات التي يزورونها التَّعاون الاستراتيجي في نشر ما يسمى بـ(الإسلام المعتدل) في إطار مشروع الشَّرق الأوسط الكبير وتقديم الدَّعم المادِّي والسِّياسي لجماعاتهم وفتح مجال الدِّراسة لطلاَّبهم في الولايات المتحدة.

وفي تطور آخر زار رئيس الشُّئون الدِّينية التركيَّة (علي بارداك أوغلو) واشنطن في نهاية الشهر الماضي، وذكرت مصادر صحفيَّة أنَّه بحث مع الأمريكيين خلال زيارته سُبُل التَّعاون في تعميم النُّموذج التُّركي وطَلَب منه الأمريكيون خططًا ملموسةً بهذا الشأن. ويبدو أنَّ الأمريكيين اختاروا رئاسة الشُّئون الدِّينية التُّركية للتعاون في صناعة ما يسمُّونه بـ(الإسلام المعتدل)؛ لخبراتها وتجاربها في إماتة الرُّوح الإسلامية الفعَّالة وضبط المشاعر الدِّينية كمؤسسة رسميَّة خاضعة لنظامٍ علماني، وتسيطر على كافة الشُّئون الدِّينية في البلاد كالإفتاء وتعيِّين الأئمة والخطباء للمساجد ومدرسي القرآن وغير ذلك)[(٢)].

---

(١) الطبعة الالكترونية من مجلة «يو إس نيوز آند وورلد ريبورت» الأمريكية العدد (٢٥-٤-٢٠٠٥م)
Us news and world Report..

(٢) من مقال بعنوان: (ماذا وراء التقرب الأمريكي من الجماعات الصوفية في تركيا؟!) في (١٦-٣-٢٠٠٤م) لإسماعيل ياشا. إسلام أون لاين.

يقول «حسين باجسي» أستاذ العلاقات الدوليَّة بجامعة أنقرة: «إنَّ تركيا ترغب في أن تكون حاملة رسالة العالم الإسلامي إلى الغرب. وتعتقد الحكومة التركيَّة أنَّها تستطيع بالفعل أن تكون جسرًا يربط بين الشَّرق والغرب، وهذه هي سياستها الخارجيَّة»[(١)].

وتذكر بعض التَّقارير أنَّ جماعة فتح الله كولن الصُّوفية بلغت قوتها ونفوذها الذي وصل إلى جمهوريات آسيا الوسطى ودول البلقان وحتَّى إلى بعض دول أفريقيا، بمساندة الدَّولة التُّركية ومباركة الإدارة الأمريكية لتتصدَّى الجماعة للتيَّارين المتنافسين في تلك الدُّول؛ الشِّيعي والسَّلفي (الوهَّابي كما يصفونه) كتيارٍ ثالث «إسلامي مُسالم» خليط بين العُنصرية التُّركية والفكرة الصُّوفية[(٢)].

ولكن لماذا تُعدُّ الطُّرق الصُّوفية التُّركية أنموذجًا ينبغي تعميمه؟

نودُّ أن نشير هنا إلى أنَّ التَّيار الصُّوفي السَّائد في تركيا هو التَّيار الذي يتَّبِع الطَّريقة النَّقْشَبنديَّة.

يقول الأستاذ فريد الدِّين آيدن في دراسته عن النَّقْشَبنديَّة:

(إنَّ استغلالَ السلطةِ للنَّقْشبنديّين كان الهدفُ منه ترويضَهُمْ على السيرِ طِبقًا للقواعد المرسومة لهم؛ وعلى الطَّاعة العمياء في الخطوة الأولى؛ فاستخدمتهم بصورةٍ فعليةٍ في خلق جوٍّ مطلوبٍ لإذابة الجموع المضادَّةِ للزُّمرة الحاكمة في بوتَقَة العلمنَة والإلحاد كمرحلةٍ ثانيةٍ؛ وترسيخ قواعد الرأسماليَّة ضدّ المستضعفين، وسدَّ الانتباهَ ضدّ الصحوة الإسلاميَّة الّتي بدأت منذ سنين تنتشر في أنحاء العالم كخطوة ثالثة.

---

(١) انظر: إيجال شليفر - كريستيان ساينس مونيتور - ترجمة: زينب كمال نقلًا http://www.islammemo.cc

(٢) http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=٣٤٩٦&keywords=الصوفية

فقد تحقّقت هذه الأهداف إلى حدودٍ بعيدةٍ، فإنّ كثيرًا من النَّاس الذين ما زالوا يعتزُّون بالإسلام ويهتفون باسمه، تغيّرتْ المفاهيمُ القرآنيةُ في عقليتهم، واتّخذت صورةً أخرى غريبةً؛ والتبس عليهم الحقُّ بالباطلِ؛ وأصبح الإسلامُ في اعتقادهم عبارةً عن سلسلةٍ من حكايات الصّالحين، وحفلات المولد النبويِّ، وزيارة القبور، وتعظيم الموتى والاستشفاع بهم، فإنّ خلاصة ما يُعرَفُ من مفهوم الإسلام اليوم في معتقد العامّةِ، أنه لا يعدو عن علاقةٍ شخصيةٍ للعبد بمعبوده فحسب؛ دون أي شيءٍ آخر من علاقاته ونشاطاته وأفعاله مع بني جنسه في بقية مجالات الحياة)[1].

يقول المستشرق نيكولسن: (من المعروف جيدًا أنّ مذاهب الصُّوفية المسلمين وتأملاتهم أثّرت في الإسلام تأثيرًا قويًا، وإلى حدٍ ما فإنّها توفِّر أرضًا مشتركةً يمكن أن يلتقي فيها أناسٌ من دياناتٍ مختلفةٍ، مع بقائهم مخلِّصين للديانة التي يؤمِّن بها كل واحدٍ منهم، يلتفُّون بروح التسامح والتفاهم المتبادل)[2].

وتأكيدًا لما ذكرناه سابقًا فقد نشرت صحيفة البيان أنّه قد كُرِّم (جلال الدِّين الرُّومي) – وهو شيخ الطَّريقة المولوية- باعتباره الشَّاعر الوحيد ضمن قائمة أكثر الكتب مبيعًا.

وقد انتشرت الأماكن الصُّوفية التي ترتبط باسمه، ففي مدينة (دالاس) بمفردها ظهر ما يزيد على (٣٠) تجمُّعًا خلال العام الماضي تقريبًا، يقول (علي أمين زاده) أحد مواطني تكساس المولود في إيران، والذي ترك وظيفته كضابط أمنٍ في مطار دالاس بواشنطن العاصمة ليصبح زعيمًا لجماعة صوفيَّة جديدة في تكساس يقول: (حركة الصُّوفية مزدهرة للغاية هذه الأيام، والعديد من الأمريكيين باتوا يستجيبون لرسالة الإسلام الصُّوفي التي

(١) انظر: النقشبندية بين ماضيها وحاضرها (٢٨٤).

(٢) موسوعة المستشرقين (٤١٦).

تدور حول الحبِّ والصداقة والتفاهم)![(١)].

يقول أحد العرب من قاطني الولايات المتَّحدة الأمريكية في مقابلة مع صحيفة الشَّرق الأوسط: (أنت تسمع عن ظاهرةٍ جديدةٍ في الولايات المتحدة اسمها (الصُّوفية) وهناك جمعيَّات صوفيَّة أمريكية في كلِّ مكان)[(٢)].

تقول الكاتبة جين سميث: (كانت الصُّوفية هي القاطرة التي دخل على متنها الكثير من الأمريكيين إلى عقيدة الإسلام وينمو حاليًا عدد من المذاهب الصُّوفية المختلفة، وتكتسب المزيد من الأتباع في الولايات المتَّحدة ذاتها)[(٣)].

---

(١) صحيفة البيان: (١٠ / ١٠/ ١٤٢٣هـ) الموافق (١٤) ديسمبر (٢٠٠٢م).

(٢)صحيفة الشرق الأوسط الأربعاء (٢٢ محرم ١٤٢٦هـ- ٢ مارس ٢٠٠٥م) العدد (٩٥٩١).

(٣) الإسلام والمسلمون في أمريكا، تأليف جين سميث، ترجمة محمد الخولي.

النشاط الصوفي بعد أحداث «١١» سبتمبر

يلحظ المُتابع للحركة الصُّوفية النشاط المتسارع بعد الحادي عشر من سبتمبر بافتتاح المدارس والأكاديميات والأربطة لاستقبال المريدين والقيام بالمؤتمرات الدّولية حول الصُّوفية والتَّصوف ودعم وسائل النّقل الثقافي.

في عام (٢٠٠١م) سمحت سوريا رسميًا لناشطين إسلاميّين معتدلين بإحياء منتدياتٍ ثقافيةٍ واجتماعيةٍ في العاصمة دمشق، وقال مدير مركز الدراسات الإسلامية في دمشق (محمَّد حَبَش): إنَّ السلطات السُّورية وافقت على التَّرخيص لمنتدى يهدف إلى نشر فكرٍ إسلاميٍ معتدلٍ عبر محاضراتٍ ثقافية واجتماعية، بعد شهرين من تقديم الطلب. ونفى «حَبَش» أن يكون هو أو رفاقه لهم صلة بأي تنظيمٍ إسلاميٍ أو أنَّهم يؤلِّفون تجمعًا معارضًا، لكنه أردف يقول: «إنّنا نعارض جماعة الإخوان المسلمين»[1]، ومن المعروف أن محمَّد حَبَش من الصُّوفية النَّقْشَبنديَّة.

وفي عام (٢٠٠١م) شنَّت الحكومة اليمنيَّة هجمة شرسة على جميع المعاهد الدِّينية بحجة مكافحة الإرهاب، فقامت بإغلاقها عدا (دار المصطفى) بتريم لأنها تتبنَّى النهج الصُّوفي[2].

وفي (٢٨/ ٣/ ٢٠٠١م) عقد في مدينة بامبرج الألمانية المؤتمر الثامن والعشرون للمستشرقين الألمان، ومن ضمن البحوث التي قُدِّمت في المؤتمر بَحْث بعنوان «الأخوة الصُّوفية كحركات اجتماعية»، والحركة النَّقْشَبنديَّة في داغستان والتجانيَّة في غرب أفريقيا،

---

(١) وكالة الأنباء الفرنسية - الثلاثاء (١٢/ ٤/ ١٤٢٢هـ) - الموافق: (٣/ ٧/ ٢٠٠١م).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط (١٠/ ١٢/ ٢٠٠١م).

وصورة الموالد الشعبيَّة في مصر[١].

وفي أكتوبر (٢٠٠٢) أُقيمَ في المغرب بالتعاون مع مؤسسة كونراد ايدناور الألمانية أيام (٢٤، ٢٥، ٢٦) أكتوبر تشرين الأول بالرِّباط ندوة دولية حول ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة[٢].

وفي عام (٢٠٠٢م) تم افتتاح أقسام تعليم اللغات (الإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة) في المعاهد الشرعية التابعة للشيخ النقشبندي (أحمد كفتارو)، وهذه الأقسام تستقبل الطلبة الناطقين بهذه اللغات أو تُعلِّم الطلبة العرب هذه اللغات كي يقوموا بالتدريس في هذه الدُّول بعد ذلك[٣].

وفي يناير (٢٠٠٣م) أُعلن عن تأسيس الاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية[٤].

وفي (١٢/ ٧/ ٢٠٠٣م) نظَّم المركز الثقافي الأوروبي البلغاري ندوةً حول أدب التَّصوف في الإسلام[٥].

---

(١) انظر: صحيفة الشرق الأوسط الأربعاء (٤/ ١/ ١٤٢٢ هـ) (٢٨/ ٣/ ٢٠٠١م) العدد (٨١٥٦).

(٢) جريدة الشرق الأوسط الاحد ٢٠ شعبان ١٤٢٣ هـ ٢٧ اكتوبر ٢٠٠٢ العدد ٨٧٣٤ شارك فيها حوالي ثمانية وعشرين مفكرا وباحثا مختصا من: انجلترا وفرنسا واسبانيا والولايات المتحدة الأميركية، الكويت، قطر، تونس، الجزائر والمغرب..

(٣) وكالة الأنباء الفرنسية - سبتمبر (٢٠٠٢م).

(٤) صحيفة الوطن السعودية الجمعة (٣٠ ربيع الأول ١٤٢٧هـ) الموافق (٢٨ إبريل ٢٠٠٦م) العدد (٢٠٣٧) السنة السادسة.

(٥) انظر صحيفة الشرق الأوسط السبت (١٣ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ) الموافق: (١٢ يوليو ٢٠٠٣م) العدد (٨٩٩٢)، المحاضران هما الكسندر فسلينوف والبروفيسور تسفيتان تيوفانوف الأستاذ في قسم الاستشراق بجامعة صوفيا، ومما يذكر أن الأساتذة فسلينوف وتيوفانوف وبليف كانوا قد أشهروا إسلامهم في أوقات سابقة وينشطون حاليًا في مجال نشر الحقيقة عن الدين الحنيف في أوساط الرأي العام في بلغاريا.

وفي عام (٢٠٠٣م) تم افتتاح كليّة دار العلوم الشرعية بالحُديدة الشهيرة بجامعة مرعي، والتي يقدر عدد طلابها بـ(٣٠٠٠) طالب وطالبة.

وقد قامت الكلية على هدفين:

أ- تقرير التَّصوف وترسيخ العقيدة الصُّوفية في نفوس الطلاب بما تحمله من بدع وشرك وخرافات.

ب- تأهيل الطلاب ممن تربوا على العقيدة الصُّوفية ليكونوا علماء وقضاة ومدرسين، ومن ثمَّ تولي المناصب وأماكن التوجيه في المجتمع والتأثير فيه بكل وسيلة(١).

وفي أغسطس (٢٠٠٣م) الموافق جمادى الآخرة (١٤٢٤هـ) صدر للصُّوفية العدد الأول من: (مجلة البحوث والدراسات الصُّوفية) وهي من مطبوعات العشيرة المحمديَّة بمصر، وتقع في نحو (٦٠٠) صفحة، وتصدر عن المركز العلمي الصوفي الذي يهدف إلى (إحياء التصُّوف في الأمَّة، ونشره على كافة مستوياتها، وبين كل فئاتها، وفي مختلف أوجه أنشطتها)!(٢).

ويبرز بين أعضاء لجنة التّحكيم في المجلة الدكتور (محمَّد سعيد البوطي) والدكتور (محمَّد علوي المالكي توفي عام ١٤٢٥هـ).

وفي عام (٢٠٠٣م) شَهِدتْ مدينة (الإسكندرية) في الفترة من (١٨-٢١ إبريل) المؤتمر العالمي للطَّريقة الشَّاذليَّة بمدينة الإسكندريَّة، وقد انعقدت جلسات المؤتمر بمكتبة

---

(١) www.alsoufia.com. أنشئت الكلية عام (١٤١٣-١٩٩٢م) ولكن افتتاح الأقسام واكتمال العمل بها كان في التاريخ المشار إليه.

(٢) مجلة البحوث والدراسات الصوفية، العدد الأول من مقدمة المجلة.

الإسكندريَّة بالتَّعاون مع (منظَّمة اليونسكو) و(المركز الوطني الفرنسي للبحوث والدِّراسات العلميَّة) و(المعهد الفرنسي لآثار الشرقيَّة) و(الوزارة الفرنسيَّة للبحث العلمي) و(وزارة الخارجيّة الفرنسيّة) و(دار العلوم الإنسانية بفرنسا) وأخيرًا (وزارة السياحة المصريّة)[١].

وفي أوائل ٢٠٠٤ استضافت وزارة الثقافة الدنماركية علماء ومشايخ الطريقة الفارضية وعقدت مؤتمراً دولياً أستمر أكثر من عشرين يوماً تحت عنوان "الإسلام الصوفي بين الماضي والمستقبل" [٢].

وفي سبتمبر من عام (٢٠٠٤م) تم افتتاح أول أكاديميَّة للصوفيَّة في مصر[٣].

وفي عام (٢٠٠٤م) أُقيمَت على مدى عشرين يومًا محاضراتٍ عن الحلاّج وابن عربي وابن الفارض في الدانمارك[٤].

يقول الدكتور عمّار حسن:

(وفي الفترة الأخيرة في مصر ظهر جليًا تقرُّب الحكومة من المتصوِّفة، وتقرُّب المتصوفة من الحكومة، بل والسَّعي من الطرفين للتقارب، فقد خلقت الظروف الملائمة للتحالف ضدّ الجماعات الإسلاميّة أمام الرأي العام باعتبارها طرحًا دينيًا له مكانته عند المصريين، بينما هي تحتمي بالنظام ضد ممارسات الجماعات السَّلفية التي ترى تحريم رفع القِبَاب على القبور وتحريم الطَّواف بها وعبادتها، والتي تتعيّش الجماعات الصُّوفية على بثِّها بين الناس، والتي لولاها لتقوَّض ركنٌ ركينٌ من أركان التَّصوف، ومن هنا فقد حرصت السلطة السياسية على

---

(١) انظر: مجلة البحوث والدراسات الصوفية – العدد الأول (ص:٥٩٥).

(٢)جريدة اللواء ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٧

(٣) نشر في (١٤-٧-٢٠٠٤م) على موقع إسلام أون لاين.نت http://www.islamonline.net، وانظر أخبار الأكاديمية على هذا الرابط: www.asheira.org\news.php

(٤) www.aljazeera.net

حضور الموالد والاحتفالات الصوفية، بل وصار شيخ مشايخ الصُّوفية أبو الوفاء التفتازاني- توفي- عضوًا في الحزب الحاكم ورئيسًا لعدة لجان داخل جهاز الدَّولة، بل وحرص رئيس الدولة بنفسه على الصّلاة في مساجد الأولياء مثل سيِّدنا الحَسين والسيَّد البدوي)[١][٢].

وفي (٩/ ١/ ٢٠٠٤م) أُعلِنَ في العراق عن تشكيل «الأمانةِ العليا للإفتّاء والتَّدريس والبحوث والتصُّوف الإسلامي» والتي من أهدافها «إنشاء المدارس الدينية ودعم الطَّرق الصُّوفية»[٣].

وفي (١٠/ ٩/ ٢٠٠٤م) أُقِيمَ مؤتمر هو اللقاء الأول من: (لقاءات سيدي شيكر العالَمِيَّة للمنتسبين إلى التصُّوف) تحت الرَّعاية السَّامية لجلالة الملك محمَّد السَّادس، حيث اجتمع في هذا اللَّقاء لفيفٌ من أرباب التصُّوف وعلى رأسهم (محمَّد هشام قبَّاني) وقد وجَّه الملك (محمَّد السَّادس) رسالةً للملتقين يقول فيها: (نودُّ الإعراب عن إشادتنا بالفكرة التي تؤمنون بها والغاية النَّبيلة التي تجاهدون أنفسكم لتحقيقها) ثم يعدِّد مناقب صوفية المغرب قائلًا: (فإنّ ثلاثة أمور جليلة جديرة بالإشارة في هذا المقام: أولها: مُساندة الإمامة الشَّرعية في القيام بأعبائها، مع الحفاظ على الوحدة المذهبيّة المالكيّة والعقيدة الأشعريّة والانفتاح، وثانيها: تحرير النفوس من حبِّ الرئاسة المغرضة، وترويضها على الشُّكر لله، ونبذ أنواع الأنانية والطُّغيان، وثالثها: تخريج ثُلَّةً من الرَّواد الذين لم تتناقض في أذهانهم النوازع الكونية مع

---

(١) الصوفية والسياسة (ص:١٠٤).

(٢) يقول شعراوي جمعة وزير داخلية مصر في عهد ناصر: (حينما مات ناصر كان علينا وسط مشاهد الحزن ومشاعره الفياضة أن نعمل على وضع ترتيبات خاصة لحماية الجثمان، فقد وصلتنا معلومات تفيد بأن الطرق الصوفية ستتكالب على النعش وتخطفه لتطوف به كافة مساجد وأضرحة أولياء الله الصالحين في القاهرة) شعراوي جمعة وشهادته للتاريخ، صحيفة العربي، السنة الأولى العدد (٤٧) (ص:٩).

(٣) صحيفة الشرق الأوسط - الجمعة (١٦/ ١١/ ١٤٢٤هـ) الموافق: (٩/ ١/ ٢٠٠٤م)، العدد (٩١٧٣).

التحلي بالروح الوطنية الخالصة)[1].

وفي ديسمبر من عام (٢٠٠٤م) أُقِيَم في عاصمة مالي (باماكو) «المؤتمر العالمي الأول للطُّرق الصُّوفية بغرب أفريقيا» تحت شعار: (التَّصوف أصالة وتجدد)[2].

اهتمام استشراقي بحياة الحلاج:

وقد صدرت عن دار الجمل بألمانيا ترجمةٌ عربيةٌ لنسخة من كتاب (التَّصوف الإسلامي) للمؤلِّف السُّويدي (تور أندريه) يتناول فيه حياة وتاريخ أبرز المتصوِّفين المسلمين (الحسين بن منصور الحلاَّج) الذي صُلِبَ في بغداد يوم (٢٦) مارس/ آذار عام (٩٢٢م).

وذكر «أندريه» أنَّ هذا الحدث المأساوي أثار أنظار المستشرقِ الفرنسي (لويس ماسينيون)[3] (١٨٨٣-١٩٦٢م) بحيث بدا وكأنَّ الحلاَّج يبعث من جديد بعد أن جمع

(١) وكالة الأنباء المغربية في (١٠-٩-٢٠٠٤م).

(٢) www.alelam.net/policy/details.php?id=١٧٦٠&country=١&type=N.

(٣) لويس ماسينون الفرنسي Massignon, L (١٨٨٣م - ١٩٦٢م) يعد هذا المستشرق من أخطر المستشرقين الفرنسيين الذين مروا على المنطقة، وقد تعرف على كبار المستشرقين أمثال (جولد زيهر) و(سنوك هرجرونجه) و(لو شاتيليه) الذي هو أحب أساتذته إليه في الاستشراق، وقصد بغداد حيث صادف العالم (الألوسي) ثم عاد إلى القاهرة عام (١٩٠٩م) واستمع إلى دروس الأزهر بالزي الأزهري، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذًا لتاريخ الفلسفة (١٩١٢م - ١٩١٣م)، ثم رحل إلى الحجاز والقاهرة والقدس (١٩١٧م - ١٩١٩م) وأقام في القدس وبيروت وحلب ودمشق والأستانة، ثم رجع إلى باريس وحصل على الدكتوراه عام (١٩٢٢م)، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي ذات الطابع التنصيري (١٩١٩م) ومجلات أخرى.

وهو مع هذا رجل عسكري ، فهو مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمالي أفريقيا وقد خدم بالجيش الفرنسي خمس مرات في الحرب العالمية الأولى ، وهو أستاذ جامعي حيث حاضر في تاريخ الفلسفة أربعين محاضرة، وتدريسه كان في (الكوليج دي فرانس)، وقد كان عضوًا في عدد من المجامع =

= فهو عضو في الجمعية الآسيوية، والمجمع العلمي العربي في دمشق (١٩٢٠م)، والمجمع اللغوي المصري (منذ إنشائه ١٩٣٣م).

وأبرز ما تتميز به هذه الشخصية الطابع التنصيري، فهو الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، ووضع اتجاهه التنصيري البارز في خدمة السياسة الاستعمارية الفرنسية حينذاك.

وما تخصصه في الفلسفة والتصوف (الحلاجي) وتأليفه فيهما سوى لتوظيفهما في النشاط التنصيري السياسي الظاهر والخفي وتدعيمًا للتصوف الغالي، فقد كتب عن: آلام الحلاج المقتول (٣٠٩هـ) ومذهب الحلاجية (١٩٠٩م)، والحلاج والشيطان في نظر اليزيدية، وكتابا اليزيدية المقدسان (١٩١١م)، وتاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا (١٩١٣م)، وأربعة نصوص متعلقة بالحلاج (١٩١٤م)، وآلام الحلاج شهيد التصوف في الإسلام، أول رسالة دكتوراه من السوربون (١٩٢٢م)، والتجربة الصوفية = = والأساليب الأدبية (١٩٢٧م). وفي الفلسفة بالإضافة إلى ما سبق: تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية (ما زالت مخطوطة)، وترجمة ابن سينا لابن سبعين (تحقيق)، وابن سبعين والنقد النفساني (١٩٢٨م)، والفلسفة وما وراء الطبيعة في التصوف الحلاجي (١٩٥٠م). واتسعت دراساته في الفرق الباطنية وبعض جوانبها مثل: القرامطة، والخطابية، والمتنبي والعصر الإسماعيلي في الإسلام (١٩٣٥م)، وإمام العصر الإسماعيلي في الإسلام (١٩٣٦م)، وثبت مراجع عن القرامطة (١٩٣٩م). ودراسته الإسلامية والفكرية قليلة مثل: المسيح في الأناجيل حسب الغزالي (١٩٣٢م)، والزمن في التفكير الإسلامي (١٩٥٣م)، وأهل الكهف في المسيحية والإسلام (١٩٥٥م)، وتاريخ العلم عند العرب (١٩٥٧م).. لقد كان ماسينون (مستعمرًا نشطًا يؤمن بالسياسة الاستعمارية للمارشال ليوتي في المغرب، وعمل على تنفيذها لتأييد سياسته (البربرية) في مراكش، بعد أن وجد ما يسوغها من الناحية الفكرية، ليس هذا فحسب، بل بتأييد الاستراتيجية الفرنسية لدمج المغرب مع فرنسا، ولم يكتف بما قامه في المغرب العربي وإنما لحق بسورية واتصل بأهل الساحل السوري وجبال العلويين، وكاد يقنعهم بولاء فرنسا لهم وبولائهم لفرنسا، وإمكان فصلهم عن جسم سورية بدولة خاصة بهم، وتعزل سورية في مناطق داخلية لا يربطها بالعالم ساحلها أو بحرها، والعجب أن هذا الرجل هو الذي أثر في مسيرة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وأقنعه بدراسة التصوف في جامعة السوربون، وهو الذي أقنع الدكتور عثمان يحيى بكتابة الدكتوراه حول مؤلفات ابن عربي وتاريخها في سفر ضخم وصل إلى تسعمائة صفحة، وأشرف على الرسالة بنفسه ، أما تمويل الأطروحة فكان من المركز القومي للبحوث العلمية في باريس =

ماسينيون كل ما في مكتبات أوروبا والشَّرق الأوسط عنه مقتفيًا أثره فيما يزيد على (٢٠٠٠) بحث من الشَّرق والغرب، فكانت الحصيلة عملًا جبّارًا مُدهِشًا يشتمل على (٩٠٠) صفحة تسلِّط الضوء على حياة هذا الصُّوفي المسلم[(١)(٢)].

وقد كلفت دار «هردر» الألمانية، الدَّكتور نَصْر أبو زيد بتأليف كتاب عن ابن عربي ضمن سلسلةٍ عن أعلام الرَّوحانيَّة في الشَّرق والغرب[(٣)].

وقد تُرجِمَت تائيَّة ابن الفارض إلى الألمانية في مدينة فيينا، كما ترجمها إلى الإيطاليَّة (أكنيزوا) في روما وإلى الإنجليزيّة (نيكلسون)[(٤)].

ومؤخرًا ترجم الصُّوفي الأمريكي حمزة يوسف قصيدة البُردة إلى الإنجليزية[(٥)].

= ومنظمة اليونسكو، وترجم هذه الأطروحة إلى العربية مفتي مصر د. أحمد الطيب.. وقد كتب د. عبد الرحمن بدوي ترجمة مفصلة عن جوانب عديدة في شخصيته وحياته ودراساته وتدريسه، للمزيد عن هذا الرجل انظر كتاب: مستشرقون (سياسيون - جامعيون - مجمعيون) تأليف: نذير حمدان، مكتبة الصديق الطائف، (ط.١٤٠٨هـ)، ص(١٩٣-٢١١). وكتاب عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره د.عمار الطالبي (١/ ٥٠).

(١) http: //www.aljazeera.net/NR/exeres٠.

(٢) جاء في مقدمة شرح ديوان الحلاج للدكتور كامل مصطفى الشيبي رواية يرويها قس سرياني عراقي مقيم في باريس يدعى دهان الموصلي، يقول هذا القس: إن المستشرق لويس ماسينون كلفه في ربيع (١٩٥٣م) بإقامة قداس خاص على روح الحسين بن منصور الحلاج في البيعة التي يشرف عليها في العاصمة الفرنسية يوم ذكرى وفاته، ويذكر الموصلي أنه دهش لطلبه وذكره بأن الحلاج مسلمًا، فقال ماسينون: الحلاج رجل متصوف روحاني، وأن فوارق الأديان لا يحسب لها حساب في حالته، انظر: المقال الذي كتبه جهاد فاضل في مجلة الحوادث العدد (١٤٢٠).

(٣) صحيفة النهار، الأربعاء (٢ تموز ٢٠٠٣).

(٤) بدوي: تاريخ التصوف (ص:٣٠).

(٥) حمزة يوسف هانسن.. أمريكي الأصل.. مالكي المذهب.. من عائلة مثقفة؛ فوالده أستاذ لمادة =

وفي عام (٢٠٠٥م) بدأ بمكتبة الإسكندرية المؤتمر الدَّولي الثاني لمركز المخطوطات الموقَّعة، والذي يضمُّ مجموعة مخطوطات نادرة محفوظة في عواصم عربيَّة وأجنبيَّة بخطِّ مؤِّلفيها أو توقيعهم في مجالات تُشير إلى ما يعتبره الباحثون ثراءً في التراث العربي، ومن أهمَّ الكتب (الفتوحات المكيَّة) البالغة (٣٧) جزءًا بخطِّ يد الشَّيخ الأكبر ابن عربي (نحو ١١٦٤-١٢٤٠)[1].

ونحن حينما نذكر هذه الكتابات هاهنا فإننا نبين أنَّ شخصية الحلاَّج وابن عربي تمثل التَّصوف الغالي الذي يراد إحياؤه من جديد، فلماذا هذا الاهتمام إن لم يكن لإبراز الوجه الآخر لتاريخ المسلمين، وليستمر الضَّالون في ضلالهم

وفي (١٦/ ٤/ ٢٠٠٥م) أَصدرَت مجلة روز اليوسف ملفًا كاملًا عن الصُّوفية وصدَّرت الملف بقولها: (يجب أن نعترف بالإهمال والتقصير.. الإهمال؛ لأنَّنا أهملنا كتلة إسلاميَّة ضخمة منتشرة في كل قرى ومدن وربوع مِصر.. وهي الطُّرق الصُّوفية.. والتقصير؛ لأنَّنا لم نمدْ لهم أيادي العون، وتركناهم يواجهون اتّهامات بالتَّشويه قامت بها وما زالت جماعات وتيَّارات إسلامية... ثم تقول: وفي هذا الملف نعيد الاعتبار إلى الصُّوفية، ونكشف جوهرها وفلسفتها، ونجري حواراتٍ مع شيوخها وعلى رأسهم شيخ مشايخها، ونبحث في جذورها

= الإنسانيات في جامعة هارفارد.. وأمه خريجة جامعة بيركلي العريقة.. أما جده فكان عمدة لإحدى مدن كاليفورنيا.. قرر في السابعة عشرة من عمره أن يسلم .. فترك دراسته الجامعية التي كان قد أوشك على الانتهاء منها ليذهب في جولة لعشر سنوات في المنطقة العربية.. عاد لأمريكا وأسس معهد الزيتون الذي يتبعه ستة فروع في أمريكا، وهو من الصوفية النشيطين جدًا، دعا في برنامج له على قناة (mbc) إلى إمداد الفلسطينيين بالأكل والشرب ومنع الأسلحة عنهم. انظر: موقع إسلام أون لاين (٤/ ٧/ ٢٠٠٤م).

(١) رويترز، الثلاثاء (١٧/ ٣/ ١٤٢٦هـ) الموافق: (٢٦/ ٤/ ٢٠٠٥م).

وإرشاداتها في أنحاء العالم الإسلامي، ونكشف أسبابَ وأسرارَ الهجوم، كل ذلك من أجل إسلامٍ نقيٍ وسطيٍ معتدلٍ يواجه التَّطرف الدِّيني وينأى بنفسه عن التوظيف السياسي لتحقيق المصالح الخاصة)[١].

وفي (٢٦) ذي الحِجَّة (١٤٢٥هـ) تم افتتاح (مركز الروحة للتَّعلم والتعليم) بجدة وهو من المراكز الصُّوفية[٢].

وفي(٥) يوليو (٢٠٠٥م) أُقِيمَ مؤتمر (حقيقة الإسلام ودوره في المجتمع المعاصر) الذي بدأ أعماله في العاصمة الأردنيَّة (عَمَّان) برعاية العاهل الأردني الملك (عبد الله الثاني) وقد قرَّر في خطابه فكرة التصوف واصفًا له بالتصوف المعتدل، فقال: (لقد أفتى شيخ الأزهر بأن الفكر الصُّوفي المعتدل مقبول ما دام يستند إلى الشهادتين، ذلك أن الاعتراف بالمذاهب هو اعتراف بمنهجيَّة الإفتاء وتحديد من هو المؤهَّل لهذه المهمَّة، مما يؤدي إلى عدم تكفير بعضنا بعضًا، وإغلاق الباب أمام الجاهلين الذين يمارسون أعمال القتل والإرهاب باسم الإسلام والإسلام منها بريء)[٣].

وفي الفاتح من سبتمبر من عام (٢٠٠٥) أقامت الجماهيرية الليبيَّة مؤتمرًا دوليًا بعنوان (الطُّرق الصُّوفية في أفريقيا حاضِرها ومستقبلها) ومن أهداف المؤتمر اقتراح الخطط والوسائل والبرامج التي تساعد على تفعيل دوره، أما شِعار المؤتمر فهو: (معًا من أجل تفعيل دور الطُّرق والزَّوايا الصُّوفية في أفريقيا)[٤].

وفي (٦/ يونيو / ٢٠٠٥) أُقِيمتْ ندوة في القاهرة بعنوان: التَّصوف ودوره في

(١) مجلة روز اليوسف العدد (٤٠١٠) (١٦/ ٤/ ٢٠٠٥م).

(٢) صحيفة البلاد العدد (١٧٦٤٤)

(٣) انظر: صحيفة الرياض – الثلاثاء (٢٨) جمادى الأولى (١٤٢٦هـ) – (٥) يوليو (٢٠٠٥م) – العدد (١٣٥٢٥).

(٤) http: //www.libsc.org/LSC/elan١.htm.

الإصلاح[1].

وفي (١٣/ شباط / ٢٠٠٦م) أُقِيمتْ حلقة نقاشيَّة بعنوان: (التَّصوُّف في مقابل التَّطرُّف) تحت رعاية الجمعية العالميَّة للدعوة بالاشتراك مع مشيخة الطرق الصُّوفية[2].

وفي (١٢ -١٤ نوفمبر ٢٠٠٥م) عُقِد في تلمسان الجزائريَّة مؤتمر علمي دولي حول الصُّوفيَّة، تم اختيار الموقع لاحتوائه على ضريح «سيدي بومديان الشّعيب» الذي أدخل الصوفية إلى الجزائر[3].

وفي (أكتوبر ٢٠٠٦م) استضافت مستغانم الجزائريَّة المنتدى الدَّولي الأول للسمعة الرُّوحية والصُّوفية[4].

وفي (إبريل/ ٢٠٠٦م) انعقد المؤتمر الدولي الأول حول دور الزَّوايا المغاربيَّة، وكان من ضمن توصيات المؤتمر إنشاء مركز متخصص في الدِّراسات والأبحاث في مجال المؤسسات الإسلامية والزوايا لتفعيل دورها[5].

وفي يوميِّ الأربعاء والخميس (٢٦-٢٧/ ٤/ ٢٠٠٦م) عقدت أكاديميَّة القاسمي بالاشتراك مع الجامعة العبريَّة في القدس مؤتمرًا هو الأول من نوعه برعاية ما يطلق عليه: (دولة إسرائيل) حول: (التصوف في فلسطين في الماضي والحاضر)، جرت أحداث اليوم

---

(١) انظر موقع العشيرة المحمدية على شبكة الانترنت.

(٢) صحيفة اللواء الأردنية الإثنين (١٣ / شباط / ٢٠٠٦) العدد رقم: (١٦٩٣).

(٣) http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml١/ar/features/awi/newsbriefs/general/٢٠٠٥/١٠/١٧/ newsbrief-٠٤

(٤) http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml١/ar/features/awi/newsbriefs/general/٢٠٠٦/١٠/٨/ newsbrief-٠٦

(٥) صحيفة الوطن السعودية الجمعة ٣٠ ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ٢٨ أبريل ٢٠٠٦م العدد (٢٠٣٧) السنة السادسة.

الأول في قاعة مئيرسدورف في الجامعة العبريَّة في القدس[١].

وفي (نوفمبر -٢٠٠٦م) أقيم الملتقى الدولي للإخوان التجانيين الذي احتضنته ولاية الأغواط مقر الخلافة العامَّة للطَّريقة التجانية[٢].

يقول معدُّ التقرير في موقع العربيَّة نت معلقًا على هذا المؤتمر: (فإن الرِّسالة المبطنة كانت ولا تزال التمكين للفكر الصُّوفي في مواجهة الفكر السَّلفي، ووفق هذا المنطق يكون ملتقى التجانية بعين ماضي قد أسس لعمل طويل المدى الهدف منه محاصرة الإسلام الجهادي والتوجه السلفي)[٣].

وفي (ديسمبر / ٢٠٠٦م) اختتم المنتدى الدَّولي الثَّالث حول الصُّوفية، الحدث استقطب (٤٠) أكاديميًا وباحثًا في الجزائر وتونس والمغرب ومصر والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وألمانيا وإيران وفرنسا وبلغاريا والصِّين.

وفي (٨/ ٥/ ٢٠٠٧) أُعلِنَ عن إنشاء المجلس الصُّوفي العالمي بالقاهرة[٤].

وفي (٢/ يوليو / ٢٠٠٧) عُقِدَ بالمغرب مؤتمرٌ جمع رجالات الطَّريقة التجانية من أكثر من أربعين دولة وقد تعاهدوا على نشر طريقتهم في أفريقيا خاصَّة في السَّاحل والعُمق الأفريقي.

وجاء في البيان الختامي للمؤتمر التجاني التأكيد على «رعاية الدولة العَلَويَّة (الأسرة الحاكمة بالمغرب) لمشايخ الطريقة التجانية ومساعدتهم على نشر التربية الرُّوحية وترسيخ قيم

---

(١) http://www.qsm.ac.il/news/template.asp?id=١١١٧

(٢) http://www.alarabiya.net/Articles/٢٠٠٦/١١/٢٩/٢٩٤٨٢.htm

(٣) **http://www.alarabiya.net/Articles/٢٠٠٦/١١/٢٩/٢٩٤٨٢.htm**

(٤) **http://www.moheet.com/asp/show_g.asp?pg=١&lc=٦٨&lol=١٩٤٥٩٣٤**

الإسلام المثلى – على حدِّ زعمهم – وبخاصة في السَّاحل وفي العُمق الأفريقي»[١].

وفي (٣١ آب/ أغسطس-٢٠٠٧) أعلنت منظمة اليونسكو احتفالاً بالعيد الثمانمائة لولادة الشَّاعر الفيلسوف والمعلّم الروحي-حسب المنظمة- جلال الدِّين الرُّومي شيخ الطريقة المولويَّة ،ويشارك في إحياء هذه الذكرى أكثر من (١٨) بلداً تمتد من الأرجنتين وصولاً إلى أندونيسيا، يتم خلالها التعريف بالرَّجل وبأشعاره وتقديم الحضرة المولوية والموسيقى الصُّوفية[٢].

وفي (١١/ ٩/ ٢٠٠٧) أُقِيمَ الطبعة الرابعة للملتقى الدَّولي للتَّصوُّف في الجزائر برعاية الحكومة الجزائريَّة ، وكان شِعار الملتقى تصوُّف-ثقافة -موسيقى-شريعة-طريقة-حقيقة-أصدَّاء ومواقف[٣].

إنَّ هذه المؤتمرات والفعاليات المتلاحقة حول التَّصوُّف تنبي أن وراء الأكمَّة ما وراءها، وأن الأُمَّة مقبلة على مدٍّ صوفيٍّ يراد إحياؤه من جديد بعد أن بدأ بالخمود، سواءً أكان هذا التحرُّك ذاتيًا من قبل الجماعات الصُّوفية، أم هو بتحريكٍ غربيٍّ عربيٍّ، فالخطر العقائدي لا يزال قائمًا.

يقول الباحث الدكتور عامر النَّجار: (إنه قد يكون مما ساعد على انتشار الطُّرق الصُّوفية في مصر انتشارًا عجيبًا، واندفاع عشرات الألوف من المصريين للانضمام تحت لواء هذه الطرق هو تشجيع الحُكَّام أنفسهم لحركات الطُّرق الصُّوفية، ليشغلوا الشَّعب المصري عن التفكير في أحوال البلاد، فبدلاً من أن ينشغل الإنسان المصريُّ بالتفكير في ظروفه الاجتماعية

(١) رويترز (٢/ ٧/ ٢٠٠٧).

(٢) الخبر في موقع المنظمة في التاريخ المذكور، وانظر: وكالة اكي الإيطالية في (٣١/ أغسطس / ٢٠٠٧).

(٣) ذكر المؤتمر وسائل الأنباء، انظر مثلاً: http://www.entv.dz/ar/culture/index?voir=٢٩٢٣

والاقتصادية السَّيئة، بدلًا من أن يفكر في فقره وبلائه، بدلًا من أن يفكر في طريقةٍ للخَلاَص من وضعه السَّيئ بالثورة على الحاكم، فإن الحاكم نفسه يعمل على شغل فكره من خلال تشجيعه إلى الانضمام إلى إحدى الطُّرق الصُّوفية، فيجد عالمه وخلاصه في رحاب الطَّريق، وهكذا انشغل المصريون كلُّهم في هذه الحقبة من الزَّمن بالطَّرق الصُّوفية وتركهم الحكَّام)(١).

ومن البَدَهيِّ أن نقول: إنَّ هذه المؤتمرات بكوادرها وأوراق العمل التي تعرض فيها هي برامج للتَّنفيذ والعمل المباشر، وهذا ما نلحظه من خلال الواقع الذي نعيشه.

إنَّ المتأمل للنشاط الصُّوفي المعاصر **يجد نفسه أمام تيارٍ جديدٍ، صوفي المشرب، متحضِّر الأدوات، واسع النَّظرة، يتعامل مع الواقع السِّياسي، ويتبنَّى العمل التربوي المنظَّم** من افتتاح حلقات تحفيظ القرآن واللقاءات المنظمة، واستخدام الدعوة الفردية، إلى تهيئة رحلات ودروس خاصة للمريد، مع لقاءات تُتلى فيها البُردة في حلقات فلكلوريَّة يردَّد فيها لفظ الجلالة إلى حد الفناء والجذب، إلى تنظيم الأنشطة الرياضيَّة التي لا يشارك فيها إلا مريدوهم بل وجلب الدعاة من الصُّوفية كي يتبنوا الدَّعوة المنظَّمة ومتابعة المريدين والتأكيد على الأنشطة المصاحبة، وقد وصل خطرهم إلى الأوساط النسائيَّة، فهم يتحركون على شكل مجموعاتٍ تدعو لما تعتقده في أسلوبٍ مبرمج فـ(تختار هذه الجماعة من المريدات الفتيات الصغيرات رقيقات المشاعر، وتعتمد في دعوتها على الإثارة الوجدانية البعيدة عن العقل والتفكير، وتظهر عُضوات هذه الجماعة اهتمامها الزَّائد بكل فتاةٍ حتى تشعر كأنها هي المقصودة بالدَّعوة لوحدها، وتظهر شدَّة الاهتمام بكثرة الزِّيارات والاتصالات، ومن الأمور المعروفة أنَّ الإنسان يميل بطبعه إلى من يهتمُّ به ويمدحه ويعجب به، في هذه الفترة يتم التركيز على أشياء محبَّبة للنفس مثل حفظ القرآن، الذكر، الإكثار من ذكر صفات الجنَّة

(١) الطرق الصوفية في مصر د.عامر النجار (٢٨٢).

والترغيب في قيام الليل، وخلال اجتماعاتهم يظهر التقديس والتعظيم للآنسة -الشَّيخة- ثم يصبح هذا سلوكهن أيضًا بالتَّدرج حتى تصل الواحدة منهن إلى حبِّ هذه الآنسة وتقديسها بطريقة غير طبيعيَّة، وقد يفسِّرون هذا التعظيم بأنَّه كاحترام العالم لما عندها من العلم الشَّرعي وغير ذلك من الأعذار الواهية، وخلال الاجتماعات وحلقات الذكر يكون التَّعارف والوصول إلى هذه العلاقة، ولا ينكر أنَّهم خلال هذه الاجتماعات يحفظون القرآن وقد تحفظه الطَّالبة؛ لأن الآنسة طلبت منها ذلك وحبًا لها تفْعَل ما تريد، وقد تحرص الطَّالبة على العبادة والإكثار منها والالتزام بما تقوله الآنسة رغبةً في حصول رضاها، فتكون شُغلَها الشَّاغل حتى أثناء العبادة نفسها، وتصلُ الطالبة إلى هذه الحالة بعد مراحل من الرَّقابة التي تُفرض عليها ومتابعة أعمالها وعباداتها، وخوفًا من تيقظ هذه الطالبة أو المريدة بصورة عامة ومن ثمَّ يخسرون فردًا من أتباعهم، فإن الشَّيخ أو الآنِسَة يؤكدون على أتباعهم عدم الالتفات لأي معترض ولو كان والديهم، وقد يوهم الشَّيخ أو الآنِسَة التَّابع أو الفتاة بأنَّه يعلم بما يفعله وإن كان غائبًا عنه وذلك عن طريق الكشف والإلهام وادعاء بعض الكرامات، وهذا ما يجعل محبة الله تزول بالتَّدريج، فلا يبقى منها إلا الادعاء، وأما حقيقة الخوف والمحبة والمراقبة فهي لهذا الشَّيخ أو هذه الآنِسَة فتضمحِّل شخصية التِّلميذ فيصبح كما أرادوا (كالمَيتِ بين يدي مُغَسِّلِه) فلا حقَّ له في الاعتراض أو الاحتجاج أو السَّؤال حتَّى تصل الحالة بالمريد أو المريدة أن يبرر تصرفات شيخه ولو كان مخالفًا للشريعة بحجَّة أنَّه معصومٌ لا يخطئ أو أنَّها أشياء تُلقى في قلبه يتلقاها بالكشف)[1].

وتُلخِّص مجلة البُحوث والدِّراسات الصُّوفية شروط مسير المريد مع شيخه فتقول:

١- الصَّبر في مراحل صحبة الشَّيخ.

(١) انظر: كتاب الصوفية عقيدة وأهداف، (ص:٣٨) وما بعدها.

٢- الطَّاعة وعدم العِصيان وحسن الامتثال للأوامر والنَّواهي.

٣- التَّسليم وعدم الاعتراض وعدم المبادرة بالسؤال عن شيء[١].

تقول الكاتبة أمل زاهد وهي ترصد الخطاب الدعوي في السُّعوديَّة بتصنيفاته المتعدِّدة ومنه الخطاب الصُّوفي: (تلعب الحلقات الاجتماعيَّة دورًا بارزًا في النَّشاط الدَّعوي لدى الصُّوفية، فالنَّشاط الدَّعوي النِّسائي الصُّوفي لا يستطيع أن يمارِس نشاطَه إلا من خلال الحلقات الخاصَّة، ويستمدُّ الخطابُ الدَّعويُّ النسائيُّ الصُّوفيُّ من خطاب محمَّد عَلَوي مالكِي وتلاميذه والحبيب عمر بن حَفِيظ والحبيب علي الجَفْري حاليًا)[٢].

وفي دراسة ميدانيّة أُعدَّت من قِبَل موقع الصُّوفية الإلِكتروني[٣] تبيَّن أنَّ العمل النَّسوي الصُّوفي في إحدى محافظات اليمن – الحُديدة – هو على النحو التالي:

التواجد	الكوادر الموجودة	نوع النشاط
٥٧٪ من المناطق المشمولة بالدِّراسة بها تواجد صوفيٌّ نسويٌّ	فقيهات، مدِّرسات عاميَّات	موالِد، زيارات، تحفيظ قرآنٍ، دورات صيفيَّة

مجالات التحرك الصوفي:

إنَّها تحركاتٍ دعوية صوفيَّة مستمرَّة، قوامها: الشَّريط والكتاب والقُرص الإلكتروني والبثُّ الفضائي ومواقع الانترنت ودعاة في الأرض يتجولون في كلِّ مكان يبشِّرون بدعوتهم

(١) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (٢٨٨).

(٢) انظر: مجلة المجلة في (٢٤/ ١١/ ٢٠٠٥م) من مقال بعنوان: (الداعيات السعوديات مجتمع خفي وخطاب محجب).

(٣) أُعدت هذه الدراسة عن محافظة الحديدة باليمن www.alsoufia.com.

وهم متحمّسون أشدَّ الحماسة، وللأسف الشَّديد قد يجدون سِنةً من أهل السُنة، فهم يعملون من خلال[1]:

١ – الأربِطة والزَّوايا:

إعادة الاهتمام بالطُّرق الصُّوفية والزَّيارات البدعيَّة والأربطة والزوايا، وذلك بما يلي:

أ- تشجيع ما هو قائم.

ب- إقامة أربطة جديدة، فالطُّرق الموجودة الآن في الحُديدة على النحو التالي:

الشاذليَّة، التجانية، النَّقْشَبنديَّة، القادريَّة، الدسوقيَّة، البُرهانيَّة، الميرغنيَّة.

٢- الكليات والمعاهد الشرعيَّة:

التي تدعم هذا التوجه مثل (دار المصطفى) بتريم في جنوب اليمن، (معاهد كفتارو) في سوريا؛ علمًا بأنَّ هذه المعاهد تمَّ مؤخرًا اعتماد اللغات الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والأسبانيَّة فيها؛ وذلك لإمداد أوروبا بالمدِّ الرُّوحي -الصُّوفي- الإسلامي، (كلية دار العلوم الشرعية) باليمن، (الأكاديميَّة الصُّوفية) بمصر وغيرها، ولا شكَّ أن هذه الدُّور العلميّة تضمن استمراريَّة النَّشاط الصُّوفي في تلك المناطق بل وتزايد أعداد المنتمين لهذا الفكر، فافتتاح الجامعات والمراكز الصُّوفية ثم إعطاء الفرصة للطُّلاب القادمين من البلدان البعيدة سواء كانت من دول العالم الإسلامي أو من غير دول العالم الإسلامي سوف يصنع انتشارًا ثقافيًا صوفيًا، وعلاقاتٍ ممتدة، وتواصيًا على دعم التَّصوف وتثبيته، وقد ذكرت الدِّراسة التي شملت إحدى وعشرين منطقة من محافظة الحُديدة باليمن، وعدد من شملتهم الدراسة

(١) سنعرض أكثر أعمالهم من خلال دراسة ميدانية أعدت من قبل موقع الصوفية حول واقع الصوفية في محافظة الحديدة باليمن، وهي تقع شمال وغرب الجمهورية اليمنية ومتاخمة للحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية.

(١.٢٧٨.٠٠٠) أنَّ (٥٨٣٦٥٠) من الذين شَملتهم الدِّراسة ينتسبون للتَّصوف، وبمعنىً آخر أنَّ التصوف هناك يأخذ نسبةً مئويةً قدرها (٤٦٪) ولا شكَّ أنَّ هذا الرَّقم يستحقُّ منَّا كل التَّأمل.

المناطق المشمولة بالدراسة	عدد المشمولين بالدراسة	عدد المنتسبين للتَّصوف	النَّسبة المئوية
٢١ منطقة	١٢٧٨٠٠٠	٥٨٣٦٥٠	٤٦٪

٣- الجمعيات الخيرية:

حيث قامت الصُّوفية في الحُديدة- اليمن - بإقامة مؤسَّسة دعويَّة خيريَّة تحت اسم (دار الخير) ومن أبرز أعمالها:

أ - طباعة النَّشرات التي تؤيد ما هم عليه كنشرة (نعم نحتفل - عن المولد).

ب - إقامة المراكز الصيفيَّة، وقد أقيمت بالحديدة أربعة مراكز صيفيَّة في أماكن مختلفة.

ج - إقامة المسابقات الثَّقافية والرَّياضيَّة، وقد أقاموا عددًا منها في مدينة الحُديدة.

٤- الأنديَة الرياضيَّة والثقافيَّة:

حيث اتَّجه الصُّوفية إلى طبقة الشَّباب ونشطوا في دعوتهم نشاطًا كبيرًا، ومن ذلك إقامة أندية رياضيَّة وثقافيَّة تحتضن الشَّباب، ومن أبرزها في مدينة الحديدة (نادي العِلْم والإيمان) والذي يقوم بالعديد من الأنشطة الرياضيَّة والثقافيَّة والعلميَّة والدَّعويَّة، وكلها تصبُّ في ترسيخ وتوطيد الفكر الصُّوفي في عقول الناشِئة والشَّباب.

٥- مدارس تحفيظ القرآن الكريم:

وذلك بإقامة عددٍ من المدارس على مستوى البنين والبنات وتشجيع القائم منها، حيث

يوجد في الأحياء التي هي مركز العمل لهم ويوجدون بكثرة فيها، وهي: (حيُّ الحوك) و(سوق الهنود) و(حارة اليمن) ما يزيد على ستٍّ مدارس للبنين والبنات.

٦- المساجد:

وذلك بالحرص البالغ على أن تكون المساجد تحت سيطرتهم حيث أنَّ (٦٠٪) تقريباً من مساجد الحُديدة تحت أيدي الصوفية، بل توجد حلَقَة مترابطة لِسلْسَلِة أحياء تبلُغ عشرة أحياء لا يوجد فيها مسجدٌ واحدٌ لأهل السنة وهي: الحوك - حارة اليمن - سوق الهنود - الكُرنيش - الصديقية - الشحاريَّة - كَوكَبان - باب مشرف - الصباليَّة.

والمساجد التي تحت أيديهم يتم تفعيل دورها وإقامة الأنشطة المختلفة فيها، ففي مسجد (ذهب) بمدينة الحُديدة أقيم مركزٌ دعويٌّ كبيرٌ بذِلَ فيه جهدٌ عظيم وسخرت جميع قدراته لإحياء الفكر الصُّوفي وترسيخه في المجتمع.

٧- المراكز القياديَّة والمناصب السَّياسيَّة:

الحرص على تولِّي زمام الأمور والمشاركة السِّياسيَّة، وذلك بتسلُّم المراكز القياديَّة في المجتمع ومواطن التأثير في الناس، فمثلًا: في مصر منصب الإفتاء، وكذا في سوريا والمغرب، وزارة الأوقاف في الإمارات والكويت .

لقد شهد هذا القرن في المغرب تطورًا مهمًّا في ما يتعلق بتدبير السِّياسة الدِّينية بالمغرب وهو تنصيب أحد المتصوفة من مريدي الزاوية البوتشيشيَّة المغربيَّة على رأس إحدى وزارات السِّيادة في المغرب وهي وزارة الأوقاف والشُّئون الإسلامية لتدبير الشَّأن الديني في المغرب وتنفيذ السِّياسة الدِّينية المرسومة من طرف النظام المغربي في بداية الألفيَّة الثالثة.

هذا القرار لم يكن اعتباطيًا فالنظام السِّياسي المغربي الحالي تميَّز عبر تاريخه بتحركات مدروسة بشكل يضمن توازنًا سياسيًا بين فاعلي السَّاحة السِّياسية والدِّينية، وهو ما يطرح العديد من التساؤلات حول الأسباب الكامِنَة خلفه هل هو عودة إلى التحالف من جديد مع

الزَّاوية الشَّريك السَّابق؟ أم هو استباقٌ للأحداث؟ أم هو صناعةٌ لحقلٍ دينيٍ سياسيٍ جديدٍ مختلفٍ عما عَرَفه المغرب في القرن السَّابق؟

هذه التَّساؤلات تدفعُنا إلى البحث في خصائص وأدوار الزَّوايا المغربية بشكل عام والزَّاوية البوتشيشية بشكل خاص.

٨- وسائل الإعلام المختلفة:

محاولة السَّيطرة على الإعلام، فهُمْ أكثر من يدير ويُشرف على القضايا الدِّينية والفتاوى في الإعلام المسموع والمرئي جملةً، أما المواقع التي على الشَّبكة العالميَّة فحدِّث ولا حرج كثرةً وحسنًا في العرض وجمالًا في الترتيب والتبويب، دع عنك المحاضرات الصوتية والأقراص الإلكترونيَّة التي توزَّع في الكليَّات والمدارس بل ومع مجلات الحاسب الآلي(١).

ولنا أن نقول: إنَّ التصوف بطرقه ورجالاته ومريديه وأربطته لم يعدْ حالةً من الزُّهد والتعبُّد الفردي كما بدأ؛ بل صار مؤسَّساتٍ ضخمة لها امتدادٌ عابرٌ للقارات، بعضها يجتهد في أن يلعب دورًا دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا، وبعضها تماهى في الفلكلور وتم اختزاله إلى ظاهرة احتفاليَّة بعد أن التصقت بثوب التقليديَّة، وتكلَّست عن إنتاج أي ممارسات سياسيَّةٍ إيجابيةٍ إلا ما تستفيد منه السُّلطة في تكريس نفسها(٢).

وثمة طرق صوفيَّة تواكب الحداثة وتنخرط في العمل العام حتى تتمكن من دفع رموزها إلى قمَّة الهرم السِّياسي مثل ما هو الحال في تركيا، ولكنها مع وصولها إلى قمَّة الهرم السِّياسي نجدها تفقد مقوِّمات الإسلامية فيها(٣)، وبناءً على هذا فإنه لا يصح شرعًا ولا واقعًا أيضًا

---

(١) وزع -مجانًا- مع أعداد من مجلة عالم الكمبيوتر عدة أقراص إلكترونية لبرامج معدة حول التصوف.

(٢) انظر مقال: الصوفية وجوه وتجارب، عمار حسن، إسلام أون لاين.

(٣) ذكرت صحيفة الشرق الأوسط الجمعة الموافق: (٢٩/ ٧/ ٢٠٠٥) العدد: (٩٧٤٠) أن حزب العدالة والتنمية الصوفي النقشبندي قرر في عام (٢٠٠٤م) عدم اعتبار الزنا جريمة مع أن هذا يعد مخالفة صريحة لنص القرآن.

جعل الصُّوفية والمنتسبين إليها في سلَّةٍ واحدةٍ أو أن نحكم عليها بحكمٍ عامٍ يشمل جميع المتصوِّفة لا من جهة المواجهة ولا من جهة الحكم الشرعي التوصيفي، ولا يصح أيضا التعامل مع ظاهرة الحركات الصوفية، كحالات عابرة هامشية، فهي ذات جذور عميقة وأثبتت قدرتها على الديمومة والاستمرار ضمن عدة عصور من التجربة الإسلامية التاريخية حتى الآن على الأقل، فلابدَّ -إذن- من معرفة الواقع الذي تعيشه هذه الجماعات حتى يتمَّ الحكم والتعامل معها بناءً على أُسسٍ علميَّةٍ جليَّةٍ.

إنَّنا أمام مفارقة تأريخيَّة تحتاج إلى الرَّصد والمتابعة.

ما المشكلة؟

يلح علينا هذا السؤال المرة تلو الأخرى: ما هي المشكلة التي ستلحق بالأمَّة إن وُسِدَ أرباب التصوف؟

وللإجابة على هذا التساؤل لابد لنا من معرفة الواقع المعاصر الذي تعيشه الطُّرق الصُّوفية.

ولتكن صياغة السؤال كالتالي: **ما هي المظاهر والسِّمات التي برز بها التصَّوف المعاصر ؟وهل اختلف عن التصوف السَّابق في كلِّ شيءٍ أم هو تغيُّر في الخطاب مع ثباتٍ على الأصول العقائديَّة؟**

وما سنذكره هنا من سمات لا ندَّعي تفرد التَّصوف المعاصر بها ولكنها بلا شك تجسد مكوناً له.

إن أبرز المظاهر **التي ظهر بها** التصوف في الواقع المعاصر **هي:**

١ - نَشْر القبورِّية والموالد البدعيَّة والأوراد الخرافية بين الأمة:

ففي دراسة ميدانية أعدَّها موقع الصُّوفية على شبكة الانترنت[(١)] لتِهَامة اليمن والتي تمتدُّ من جبال صنعاء إلى الحدود المتاخِمَة للمملكة العربيَّة السُّعودية تبين أنَّ القبور والأضرِحَة التي تُزار وبشكل دوري تقارب (١٧٨) ضريحًا:

---

(١) www.alsoufia.com.

عدد القبور والأضرحة	نسبة القبور التي تُرتَّب لها زيارات	الأعمال التي يفعلها الناس عند هذه القبور
١٧٨	٧٦٪ من القبور تُرتَّب لها الزيارات	الذَّبح لها، الطَّواف بها، التبَرُّك بها، التَّوسل بها، الدُّعاء من دون الله، السُّجود، شدُّ الرِّحال لها، يأتيها السَّحرةُ والمجاذيب، ويحصل عندها الاختلاط بين الرِّجال والنساء

ويعلق معدُّو الدِّراسة بقولهم:

(والذي ظهر لنا من خلال الدِّراسة الميدانية التي قمنا بها أنَّ للصُّوفية دورًا فاعلًا في نشر الشِّرك بالله ﷻ من ذبحٍ لغير الله ونذرٍ وطوافٍ وطلبٍ للشفاء من القبور والأضرحة التي يزعم أنها لأولياء يمنحون التَّقديس والتَّعظيم، ويرفعون إلى مراتب لا تحق للأنبياء، بل لا تكون إلا لله ربِّ العالمين، فيسألونهم الشَّفاء وقضاء الحوائج وتفريج الكُرُبَات، ويستعينون بهم من دون الله، بل يسألونهم الشَّفاعة ويطلبونهم الوَلَد والذُّرية)[1].

الأضرحة في مصر:

ينتشر في مِصر أكثر من ستَّة آلاف ضريح[2]، فيوجد على سبيل المثال في مركز فوّة (٨١) ضريحًا، وفي مركز طلخا (٥٤)، وفي مركز دسوق (٨٤)، وفي مركز تلا (١٣٣)، وهي الأضرحة التَّابعة للمجلس الصُّوفي الأعلى، بخلاف الأضرحة التَّابعة للأوقاف أو غير المقيَّدة

(١) انظر: التصوف في تهامة اليمن (ص:٢٤) وتجد الدراسة على هذا الرابط www.alsoufia.com
(٢) د. سعاد ماهر فهمي، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١/ ٤٤).

بالمجلس الصُّوفي)[١] كما يوجد في أسوان أحد المشاهد يسمى: مشهد (السَّبعة وسبعين وليًا)[٢].

يقول وزير الأوقاف المصري: إنَّ حصيلة النُّذور التي تُجمع من الأضرحة في الفترة من (١/ ٧/ ٢٠٠٥) إلى (٣٠/ ٦/ ٢٠٠٦) بلغت ٥٢ مليوناً و٦٧ ألفاً و٥٧٩ جنيهاً[٣].

يقول عبد الله بن محمَّد بن خميس في مشاهداتٍ له عند قبر محيي الدِّين ابن عربي: (لقد ذهبت إلى قبر ابن عربي في دمشق فوجدت فئامًا من الناس يغدون إليه ويروحون.. وجدتُّهم يطوفون حوله، ويتوسلون به، ويعلنون دعاءهم له من دون الله. وجدُّت المرأة تضع خدَّها على شُبَّاك الضَّريح وتمرغه وتنادي: أغثني يا محيي الدين! وجدتُّ الصَّبايا البريئات يجئن إليه، ويمدُدن أمامه الأَكُف، ويمسَحْن الوجوه، ويخشعن، ويتَضَرعن)[٤].

زيارة قبر النبي هود عليه السلام:

ومن القبور المعظمة والتي ترفع من شأنها الطرق الصُّوفية في حَضْرَموت القبر المزعوم لنبي الله هود × حيث تُرَتَّب عند هذا القبر زيارة تتبعها مناسك زمانيَّة ومكانيَّة في مشهدٍ أشبه ما يكون بالحج، ففي اليوم الثامن من شهر شعبان يجتمعون أمام قبر الشَّيخ أبي بكر بن سالم لنيَّة التوجُّه إلى شِعْبِ هود ثُمَّ المرور بالمحذفة -أي: المَرجم الذي يرجُمُه جميع الزوار- ثم المرور بقبر الكافِرة الذي يسبُّ ويشتِم ثم الوصول إلى الشِّعْب للاغتسال في نهر هود والذي

(١) د. زكريا سليمان بيومي (الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة في مصر المعاصرة)، (ص:١٢٧، ١٥٣).

(٢) انظر: الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مصطفى عبد الله شيحة، (ص:١٥٢).

(٣) مجلة الصوفية العدد الثاني ربيع الأول (١٤٢٨هـ).

(٤) شهر في دمشق لعبد الله بن خميس (٧٢) وانظر للتوسع: العدد (١٣١) من مجلة البيان.

هو - في زعمهم - من أنهار الجنَّة ثم الصلاة عند الحصاة، ثم الوقوف عند البئر المعطَّلة والسَّلام على الأرواح التي فيها ثمَّ الوقوف على القبر المزعوم ثمَّ النزول عند الصَّخرة المقدَّسة -النَّاقة المتحجِّرَة - وعند العودة إلى تريم تختم الزيارة بالطواف حول مقابر تريم الثلاث المسمّاة بشار، وتكون هذه الزيارة بوقفة كوقفة عرفة في اليوم الحادي عشر من شعبان، فمن حضرها فقد أدرك الزِّيارة ومن لم يحضرها فقد فاتته الزيارة ثم النَّفرة في عصر اليوم الحادي عشر واليوم الثاني عشر[1].

الأضرحة في أفغانستان:

حين دخلت القوات الصَّليبيَّة الأمريكيَّة والبريطانيَّة الغازية إلى البلاد الأفغانيَّة كان أول ما قاموا به أن فتحوا المزارات والأضرحة وسمحوا للموالد أن تقام وروَّجوا لها، يقول أحد شيوخ الطُّرق واسمه (صوفي محمَّد) وهو في الستين من عمره لوكالة (رويترز): (إن حركة طالبان المتعصِّبة أغلقت المزارات وأوقفت الاحتفالات ومنعتنا من حلقات الذِّكر والإنشاد طوال فترة حكمها رغم أنَّها لم تتوقف حتَّى في وجود الحكم الشُّيوعي والاحتلال الرُّوسي! وأنا سعيدٌ جدًا بسقوط تلك الحركة المتعصِّبة، وأمريكا سمحت لنا بممارسة طقوسنا وإقامة موالدنا، ونحن نشكر لها ذلك وبشدَّة) هكذا قال، وهكذا فعلت أمريكا، فَتحتْ الأضرحة وأقامت الموالد لإحياء البدعة ومحاربة السُّنة ولتشويه الإسلام[2].

الحج السنغالي:

أمّا في السنغال فيشتهر عند أرباب التَّصوف رحلة الحج إلى ضريح «أحمد بامبا» حيث

---

(١) انظر: كتاب القبورية في اليمن للشيخ أحمد المعلم بتصرف يسير (ص:٣٨٤).

(٢) انظر: www.islammemo.cc/historydb/one_news. في الجمعة (٢١ صفر ١٤٢٦هـ) الموافق (١ إبريل ٢٠٠٥م).

يتوافد مئات الآلاف من أتباع الطُّرق الصُّوفية لزيارة هذا الضريح والمكوث عنده ثلاثة أيام ضمن طقسٍ سنويٍ يقترب كثيرًا من أسلوب الحجِّ إلى بيتِ الله الحرام(١)(٢).

كازاخِستان ومكَّة الثَّانية:

يؤدي بعض أتباع الطُّرق الصُّوفية ما يسمُّونه «حجًا أصغر» في كازاخِستان، وذلك على مدار العام، ووفق طقوس خاصَّة مَنبثِقَة من تقاليد وعادات شعبيَّة.. وأما مقصدهم في حجَّهم فهو مدينة يطلقون عليها اسم «مكَّة الثَّانية».

وأكثر ما يميز هذه المدينة هو توافد أناس كُثر من كافة مدن ودُول آسيا الوسطى للتَّبرك بها، ولأداء ما يعتبرونه الحجَّ الأصغر، الذي يختلف عن الحجِّ الأكبر لمكَّة المكرَّمة.

وعزا المؤرِّخ «أنور تولغانوف» أسباب إطلاق اسم مكَّة الثَّانية على تركستان بقوله: «إنَّ السفر من وسط آسيا والوصول إلى مكَّة المكرَّمة كان يُشكِّل صعوبةً ومشقةً كبيرةً للمسلمين ويكلِّف أموالًا طائلة، فاستعاض البعض عن الحجِّ بالسَّفر إلى تركِستان، ولا ننس أيضًا أنَّ الأساطير والخرافات أَضفَت طابع القُدسيَّة على المدينة».

وينهي الزوار حجَّهم الأصغر بالدعاء داخل إحدى القاعات التي بداخلها المسجد وهي عديدة، فمنها قاعةٌ كان يجلس فيها خانات آسيا الوسطى خلال عصورهم السَّالفة، أما القاعة فزيارتها تعدُّ الأهم في تلك الطقوس؛ لأنَّها تحوي ضريح الحاج أحمد الياساوي.

يقول تولغانوف: «درس الياساوي التعاليم الصُّوفية في مدينة سَمَرْقَنْد، ثم عاد إلى تركستان وعاش فيها حتَّى بلغ عمره ثلاثةً وستين عامًا، نزل بعد ذلك إلى حجرةٍ تحت

---

(١) www.islammemo.cc

(٢) وقد أقيمت الزيارة في هذا العام (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م). انظر: صحيفة المسائي الجمعة (١٩/ ٢/ ١٤٢٨هـ) الموافق: (٩/ ٣/ ٢٠٠٧م) العدد (٥٧٩٤).

الأرض، معتبرًا أنَّ الحياة أكثر مما عاش الرسول محمَّد تعدُّ ذنبًا عظيمًا»[1]!!

دبلوماسية زيارة الأضرحة :

بل صار التَّسابق من قِبَلِ السِّياسيين لإحياء مظاهر الشِّرك، فقد أعلن وزير الثقافة والإعلام الأفغاني (رحيم مخدوم) أنَّ الحكومة الأفغانيَّة الجديدة وضعت ضمن أولوياتها ترميم تمثالي بوذا العملاقين في ولاية باميان، وكانت حركة طالبان قد دمرت التِّمثالين وأثارت موجة استنكار عالميَّة، يشار إلى أنَّ مخدوم متخصص في الثَّقافة الأفغانيَّة والشعر الصُّوفي[2].

زيارة الرئيس الباكستاني لأحد الأضرحة:

في زيارة هامَّة للرئيس الباكستاني (برفيز مشرف) إلى الهند شملت إجراء محادثاتٍ مع رئيس الوزراء الهندي (مانموهان سينج) توجه الرَّئيس (مشرف) لولاية راجستان بغرب الهند لزيارة ضريحٍ إسلاميٍّ بارز، ثم توجَّه إلى العاصمة دلهي[3].

زيارة الرئيس الجزائري للأضرحة لزيادة شعبيته:

قام الرَّئيس الجزائري (عبد العزيز بوتفليقة) بزياراتٍ مكثفةٍ لعدد من زوايا وأضرحة الأولياء والصالحين المنتشرة في مختلف أنحاء الجزائر؛ لزيادة شعبيته لدى عددٍ كبيرٍ من الجزائريِّين الذين يتبَّركون بهؤلاء الأولياء، ولنفي اتّهامات وُجِهَت له بالتَّواطؤ مع التيَّار الإسلامي السَّلفي، وذلك قُبيل الانتخابات الرئاسيَّة التي أقيمت في الثامن من إبريل

(١) انظر: موقع العربية نت الإخباري ، السبت (٤ ديسمبر ٢٠٠٤م)، (٢٢ شوال ١٤٢٥هـ).

(٢) المصدر: وكالة الأنباء الفرنسية نقلًا عن http://www.aljazeera.net

(٣) موقع شبكة البي بي سي.. وانظر أيضًا: صحيفة الراية القطرية الأحد (٢٤/ ٤/ ٢٠٠٥م).

(٢٠٠٤م)[١].

زيارة رئيس الوزراء الإندونيسي لضريح والوصية المزعومة:

في بداية رئاسته تسلَّلَ (عبد الرحمن واحد) رئيس الوزراء الإندونيسي الأسبق من قصره الرئاسي في جاكرتا وقام بزيارةٍ سريّةٍ إلى قبر أحد الأولياء الصَّالحين كان يرفع راية الدعوة الإسلاميَّة قبل (٤٠٠) سنة، وصرَّح (واحد) فيما بعد أنَّه عندما كان وحيدًا أمام الضريح، سمع صوت الرجل الصالح وهو يشجعه ويوصيه بأن يكون هادئًا مطمئنًا، وأن يكرر الدعاء اليومي: (إنَّ الله مع الصابرين).

بل من شدَّة الجهل والغفلة اتخذت قبَّة على مقبرة (الرفيق) الصِّيني الشُّيوعي (يانغ تشي تشنغ)، في (ود مدني)[٢].

صور مؤلمة:

إذا كان حال كبار القوم على هذا المنوال فكيف بعامة الناس الذين يغلب عليهم الجهل، فقد أوردت صحيفة (أهل الخير)[٣] بعض القصص والحكايات المؤلمة، منها: أن امرأة لم ترزق بذَكَر، وفي حملها السادس ذهبت لضريح (مولاي إبراهيم) في منطقة أسنى جنوب المغرب ودخلت عليه بعد أن أخذت معها الشُّموع وتعلَّقت بستارة الضريح ثم توسَّلَت كي يمنحها الوَلَد!

وأخرى لم تنجبْ ولدًا، فبعد أن طافت بالأطباء ولم تخرج بنتيجة يمَّمت وجهها تجاه

---

(١) http://islamonline.net. وانظر أيضًا: صحيفة الشرق الأوسط - الإثنين (٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ) (١٦ فبراير ٢٠٠٤م) العدد (٩٢١١) وانظر أيضًا: صحيفة الراية القطرية الخميس (٤/ ٣/ ٢٠٠٤م).

(٢) مجلة البيان العدد (١٣١).

(٣) السبت (٣) جمادى الآخرة (١٤٢٦) يوليو (٢٠٠٥م) العدد السادس والعشرون.

القبور والأضرحة، فطافت بأضرحة العديد منهم إلى أن توقفت أمام ضريح مشهورٍ بالقدرة على تزويج العَوانس وجعلِ العَقيم قادرًا على الإنجاب، فوقفت وتوسَّلَت والدُّموع في عينيها كي يساعدها صاحب القبر ويحقِّق لها رغبتها في إنجاب الوَلَد.

وفي أفغانستان حيث ثمَّة زياراتٍ منتظمة لمجموعة من القبور يقول عزيز محمد، وهو رجلٌ مسن ذو لحيةٍ بيضاء يزور المقابر كل يوم: «طلبت الشُّرطة من الناس عدم المجيء لكننا نجيء، المعاقون والمرضى يشفون بعد المجيء إلى هنا. إنَّه مكان مقدس» فوسط المقابر تركع امرأة منقبة أملًا في الصِّحة والثَّراء والحظ، ويجيء رجل ضرير بصحبة الأهل أملًا في استعادة النظر[1].

إنَّ نشر وتبنِّي القبورية وإحياء المَيْت منها وربط النَّاس بهذه القبور بدعوى وجود الأولياء والصالحين، وأنها مواطن الرَّحمات وإجابة الدَّعوات يبين لنا بجلاء أن مزامير الشِّرك قائمة وسُوقها لا يزال مستعرًا.

تعظيم الموالد عند الصُّوفيَّة المعاصرة:

أمَّا الموالد فقد صارت هي الدَّليل على محبَّة النبي ﷺ، فمن يحبُّه يقيم المولد، ومن لا يقيم المولد فهو لا يحبُّ رسول الله ﷺ[2]، وشأن الموالد أعجب من العجب حيث تسقط المروءة ويقوم الرِّجال بالتمايل والرَّقص على الأصوات المنغَّمة والكلمات المحرَّمة مثل قولِ أحدهم:

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط الثلاثاء (٦ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق: ١٩ فبراير ٢٠٠٢م) العدد (٨٤٨٤).

(٢) ذكر تقرير عن وكالة الصحافة الألمانية أن رجلًا ذبح زوجته وأبناءه الأربعة في مدينة كراتشي جنوب باكستان لتقديمهم «كقربان» بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وقال زوج أخت نديم: إنه كان يتصرف بشكل غير طبيعي، ويتردد على زيارة أضرحة الأولياء الصالحين خلال الأشهر الأخيرة. وكالة الصحافة الألمانية (٢٤/ ٤/ ٢٠٠٥م).

يا حياتي وأنت في ذاتي[1]... ويقصد الله جل وعلا.

وقد تُقام هذه الموالد في المساجد فتدخل أدوات اللهو ومعازف الشَّيطان إلى بُيوتِ الله، ورحمَ الله إسماعيلَ بن أبي بكر الشَّهير بابن المقري الزبيدي حين قال في قصيدة له:

بــرغم سُــنّة خــيرِ العجــم والعــرب ... أضــحت مــساجدنا للهــوِ واللَّعــب

مــا كــان صــلَّى عليــه الله يأمرنــا ... بــضَرْب دفٍ ولا زُمــرٍ ولا قَــصَب

بـل سـدَّ عـن مَـزْمَـرِ الرَّاعـي مـسامِعَه ... صـونًا لهـا ولنَـا عـن هـذه اللُّعـب

قــد ذمَّ ربــك قومًــا كــان فعلِهــمُ ... أخـفَّ مـن فِعْلِكـم مـن مُـشركي العَـرْب

كانــت لــدى بيتــه قِــدْما صــلاتهم ... مكــاً وتــصديةً في سَــالِف الحِقَــب

يعنــي صــفيرًا وتــصفيقًا ففعلِكُــمُ ... أشــدُّ مــن فعلهــم قُبحًــا فــلا تَعَــب

مــا ذمَّ تــصفيقَ أيــديهم لأجلِهِــمُ ... لــيس مــع كفــرهم هــذا بمحْتَــسب

بــل ذمَّ فعلِهُــمُ حتــى يُحــذِّرنا ... مـن أن نـشاركَهم في مُوجِـبِ الغَـضَب

وأن نُقــارِفَ شــيئًا في مــساجده ... غــير العِبَــادة والقــرآن والقــرَب

فــضحتُمونا وصــيَّرتم مــساجدنا ... وهــي المــصونة كالحانــات للعــب

شَوشــتمُ الــدِّين غــيَّرتم محاســنَهْ ... فعلــتمُ فيــه فِعْــل النَّــار في الحَطَــب[2]

إلى آخر قصيدته / ..

وتكثر الموالد في مصر، ويشتهر منها: (المولد النبويُّ)، و(مولد البدويُّ) الذي حَضَره

(١) أستغفر الله من ذكري مقالتهم... فالحَرُّ يلفح من يدنو من اللهب ٠٠ انظر هذه الحضرة على هذا الرابط: www.alsoufia.com.

(٢) انظر: كتاب إعلام الأخيار بحكم ضرب الدف والطار في المساجد، (ص:٥٨) فقد ذكر القصيدة بأكملها.

عام (١٩٩٦م) نحو (٣) ملايين زائر[1]، ومن الموالد التي تقام (مولد إبراهيم الدَّسوقي)، و(مولد أبي الحسن الشَّاذلي)، و(مولد المرسي أبي العبَّاس)، و(مولد أبي الحجَّاج الأقصري)، و(مولد إبراهيم القنائي).

ويوم الاحتفال بالمولد النبوي يكون إجازةً رسميةً في البلاد، ويُقام بصفةٍ رسميَّةٍ في كل محافظة بمصر حيث تُشرف عليه السُّلطات، ويشهد هذا الاحتفال أيضًا كبار رجال الدُّولة أو ممثلون عنهم، وعلى رأسهم شيخ الأزهر ومفتي الدِّيار المصريَّة ورئيس جامعة الأزهر ووزير الأوقاف ومحافظ القاهرة؛ حيث يلقي معظمهم كلماتٍ في الاحتفال، كما يشهد حضورًا إعلاميًّا واضحًا من صحافةٍ وإذاعةٍ وتلفازٍ.

وبعد نهاية الاحتفال الرسمي ينصرف أتباع الطُّرق الصُّوفية لإلقاء أناشيدهم ومدائحهم وأذكارهم في أماكن معدَّة لذلك سَلَفًا، ويستمرُّون في ذلك حتى منتصف الليل تقريبًا.

حلقات الذِّكر في الحُدَيْدَة:

أورد أمين الريحاني في كتابه مُلوك العرب صورةً وصفيةً لبعض حلقات الذِّكر الصُّوفية والتي كانت في مدينة الحُدَيْدَة والتي لا تختلف عن حلقات الذِّكر الصُّوفية الموجودة الآن.

(كان قد توفي يومئذ شيخ الطَّريقة المرغينيَّة فاشتركت الطُّرق كلها في حلقة الذكر من أجله ضمَّت أربعمائة شخص، واستمرت خمس ساعات، جلسنا في منصَّةٍ في صحن المسجد، فأشرفنا منها على الحلقة كلها، وكان النَّاس جالسين على الأرض، وجلس أبناء الشَّيخ المتوفى ومشايخ الطُّرق في صدر الحلقة وبينهم سراجٌ منيرٌ وقارئٌ كان يقرأ -ساعة وصولِنا- المناقب التي تفتتح بها حلقات الذكر يذكر فيها مناقب الفقيد وكراماته.

ثم وقفت الحلقة أربعة صفوف الواحد وراء الآخر، ووقف أحد أبناء الشيخ المتوفَّى في

(١) تقرير الحالة الدينية في مصر الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية عام (١٩٩٦م).

الوسط، فحركها باسم الله بصوتٍ هادئٍ وإشارةٍ لطيفةٍ بدأ بلا إله إلا الله، فمالت الحلقات إلى الأمام، ومالت إلى الوراء وراحت تكرر وتردِّد الشَّهادة، وكان صوت الأربعمائة شخص كأنه صوتٌ واحد، وحركتهم حركةٌ واحدة يتدرجون سرعةً وهياجًا عملًا بلهجة الشَّيخ وإشارة يمناه وهو يجول في الحلقة مستحثًّا محرِّضًا: (إلا الله)، وضرب كفًا بكف، فرددت الحلقة (لا الله) بسرعة لمح البصر، ثم أمست كأنها تصيح (لله الله الله) وسكتت فجأة كمن أُغميَ عليه ثم عادت تدريجيًا إلى المِيزان الأول في الصَّوت والحركة(لا إله إلا الله) وجلس الشَّيخ فقام آخر يَثِبُ مكانه نصفَ ساعةٍ وهكذا)[1].

أمَّا في تِهامة اليمن (فيُحتفل بالمولد النبويِّ وبذكرى الإسراء والمعراج والَّتي تُسمَّى الرَّجبيَّة وبالنَّصف من شعبان ويسمُّونها الشَّعبانيَّة أو عيد البهجة والاحتفال بالهجرة النبويَّة وبانقضاء الحَول)[2].

ومن الأمور العجيبة أثناء حج بيت الله الحرام، أن الحجيج وهم متلبسون بالإحرام ويلبُّون لله: لبيك اللهم لبيك، متجهةً قلوبهم إلى الله نرى بعضًا من الجماعات الصُّوفية تقوم في حلقاتٍ راقصةٍ ينشدون الأناشيد مع الرقص، بل وتقام جلسات لإنشاد البردة يُردَّدُ فيها:

يا أكرم الخلق ما لي من أَلُوْذُ به سِواكَ عند حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ
فإنَّ من جُودكَ الدُّنيا وضُرَّتها ومن عُلُومِكَ عِلمُ اللَّوحِ والقَلمِ[3]

---

(١) بتصرف يسير من ملوك العرب (٧٧).
(٢) انظر التصوف في تهامة اليمن (ص: ٢٦) www.alsoufia.com
(٣) انظرها على هذا الرابط www.alsoufia.com

الذَّكر عند الصُّوفية المعاصرة:

لا يزال إلى هذا اليوم يردَّد الذِّكر الشَّهير: (اللهم زُجَّ بي في بحار الأحدية، وانشلني من أَوَحالِ التَّوحيد، وأغرقِني في عَين بحرِ الوحدة)[١].

أما الذِّكر المعاصر فهو كالتالي[٢]:

١-الذِّكر في لطيفة القلب الموجودة تحت الثَّدي الأَيسَر بقدر إصبعين وهو على سيدنا آدم على نبيِّنا الأعظم وعليه الصَّلاةُ والسَّلام، ويستمرُّ هذا الذَّكر لمدة ثمانية أيام.

والتوجُّه الخاصُّ به أن يقول الذاكر -بعد الذكر بلطيفة القلب-: (إلهي بفيض تجلِّي أفعالك الذي أرسلت من قلب النبيِّ ﷺ إلى قلب سيِّدنا آدم × بواسطة قلوب المشايخ: أرسِلْ إلى قلبي).

٢-الذِّكر في لطيفة الرُّوح الموجودة تحت الثدي الأيمن بقَدْرِ إصبعين وهي على قدم سيِّدنا نوح وإبراهيم على نبيِّنا وعليهما الصَّلاة والسَّلام، وستمرُّ هذا الذكر لمدة يومين.

والتوجُّه الخاصَّ به أن يقول بعد ذكر لطيفة الرُّوح: (إلهي بفَيضِ تجلِّي صفاتك الثُّبوتية الذي أرسلت من رُّوح النبيِّ ﷺ إلى روحي سيِّدنا نوح وسيِّدنا إبراهيم على نبيِّنا وعليهما الصَّلاة والسَّلام ومن رُوحَيِّ سيِّدنا نوحٌ وإبراهيم إ بواسطة أرواح المشايخ أَرْسِل إلى روحي... ويَذْكر هنا على هذا المِنوال عشرةَ أذكارٍ، وفي الذِّكر الثَّامن،يقول:ثامنًا: الذِّكر بحبس النَّفَس -بفتح الفاء-بالنَّفي والإثبات (لا إله إلا الله بعددٍ وتر على قدر اتِّساع النَّفَس

---

(١) تسمى بالصلاة المشيشية نسبة إلى عبد السلام بن مشيش. انظر: جامع الصلوات للنبهاني (٩٣) وانظر هذه الحضرة التي يذكر فيها هذا الذكر على هذا الرابط .www.alsoufia.com.

(٢) انظر: أعلام الصوفية من القرن الثاني إلى عصرنا الحاضر (ص:٦٣٦).

بحيث يتلفَّظُ قبل نهايته بـ(سيِّدنا محمَّد رسول الله) (وذلك لمدة ثلاثة أيام).

يقول البيطار وهو يُؤرِّخ لدخول الفرنسيِّين إلى مصر:

(ولما جاء وقت مولد النبي ﷺ أُمِرَوا بصنعة على المعتاد وأعطوا من عندهم إعانةً على ذلك ثلاثمائة ريال وصنعوا شنكا ليلة المولد)[١].

٢- نشر الخرافة والجهل بين الأمة وبثّ الأساطير والحكايات[٢] التي تميتُ الأمَّة ولا تحييها، وبثَّ العقائد الضَّالة:

فهذا النَقْشبندي الكبير محمَّد ناظم حقَّاني القُبرصي[٣] والذي يقال: إنه قطب زمانه، من عجائِبه التي ما زال يتحِفُنا بها، ما أعلَنَ عنه في بداية عام (١٩٩٩م) من أنَّ التكنولوجيا في العالم ستنتهي بفعل الأقطاب، وفيما يلي بيانُه من موقع (السُّنة)[٤] المُؤسَّس من قبل الشَّيخ هشام القبَّاني، يقول: (احذروا عام ١٩٩٩م).

يتزايد الإلهام من نبع قدرة الله ﷻ... يسمح لغير المسلمين استعمال الطَّاقة الفيزيائيَّة الطبيعيَّة حتى (٩/ ٩/ ١٩٩٩م) وبعد ذلك التَّاريخ لن يكون بالإمكان معالجة المشاكل التي ستطرأ على التكنولوجيا إلى أن يؤذَن بذلك مجدَّدًا، عندها سيتمُّ تدمير عمود من الكفر

(١) حلية البشر في أعلام القرن الثالث عشر (١/ ١١٨).

(٢) من الحكايات العجيبة ما ذكره رمز من رموز الصوفية المتأخرين وهو الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.. والذي يذكر أنه يتلقى الأخبار من السماء، ففي إحدى كلماته إبان الغزو الأمريكي للعراق بدأ يشنع على الغزو الأمريكي على العراق وأنه غزو باطل، وأعلن للحضور أن الأمريكيين سيهزمون في العراق ولكن كيف ومتى؟ لا جواب سوى أن قال الشيخ: (إنه يتلقى هذه المعلومات من السماء) ولا ندري أي سماء يقصد.. انظر هذه الكلمة على هذا الرابط www.alsoufia.com.

(٣) انظر ترجمته في: الطريقة النقشبندية وأعلامها د. محمد أحمد درنيقة (١٦٠).

(٤) العنوان: http://www.sunnah.org/mosquefinder/arabic/٢.htm.

(التكنولوجيا أو الطاقة) وهم يعلمون هذا الأمر ويقولـون: إنهـم قـد اتخـذوا التـدابير الوقائيَّة اللَّازمة، ولا تنفع كـل التـدابير التـي يتخـذونها، بعـد أن تُـدمَّر التكنولوجيـا سـتتطلب إعـادة الأمور إلى ما كانت عليه آلاف السِّنين، ولن يستطيعوا أن يعيدوها إلى حالتها الأولى.

الكهرباء سِر (أمرٌ غامضٌ) نحن نعرفها، ونـشعر بهـا ولكـن مـا هـي حقيقتهـا؟ هـل هـي ذرَّات أم الكترونيات تتدفَّق؟ نحن نرى الكبلات، ونعلم أن هناك شيئًا ما يتدفَّق عبرها، رغم أن النُّحاس ينقل الكهرباء، فإن خاصيته لا تزيد ولا تـنقص ولـو بعـد مائـة عـام، مـا هـو نَقْـل الكهرباء؟ ما هو السِّلبيِّ والإيجابيُّ؟ نحن نعلم أنَّ هناك سلبيًا وإيجابيًا خـلال نَقْـل الكهربـاء، ولكن ما هي هذه الظَّاهرة على وجه التَّحديد؟ ما الذي يحصل؟ كـل التَّكنولوجيـا تعتمـد عـلى الكهرباء، وإذا قطع القطب المتصرف التَّيار الأساسي تتوقف الكهربـاء، يوجـد خمسة أقطـاب أساسـيُّون، وهـم: قطـبٌ بـالله، وقطـبُ إرشـادٍ، وقطـبُ أقطـابٍ، وقطـبٌ متـصرِّفٌ. القطـب المتصرِّف هو الذي يتحكم بالطَّاقة الطَّبيعية ويوزعها، هو محطَّة الطَّاقة التي تستمد الطَّاقـة مـن الله وتوزعها، إذا لم يكن موجـودًا فكـلُّ شيءٍ يحترق ويتـدمَّر، هـو الـذي يـسمح للإنـسانيَّة أن تواصل اكتشافاتها، وكل ما تستطيع أن تتخيل أنَّها تـصنعه، عنـدما ينقطـع التَّيَّـار سـينتهي كـلُّ شيءٍ.

يعتقد غير المسلمين أنَّهم يستطيعون دَحْر الإسـلام عـبر اسـتخدام أسـلحة التُّكنولوجيـا، ولكنَّ الأمر لن يكون كذلك أبدًا، فمنذ (٦٠) سَنَة قال مولانا الشَّيخ عبـد الله قُـدِّسَ سِرُّه أنَّـه عند أول تكبيرة لسيدنا المهديِّ × ستتوقف كل السُّفن والأسلحة، وتساءلت: كيف سـيتمُّ ذلك دون أي اتصال؟ لم يكن قد تم اكتـشاف الكمبيـوترات عنـدها، ولكننـا اليـوم يمكننـا أن نفهـم الأمـر بـشكل أوضـح؛ لأنَّ كـل شيءٍ مـرتبطٌ الآن بـالكمبيوترات، لم يكـن مـن الممكـن تصديق أو تخيُّل حـصول الحسابات الـضَّخمة بكبسَة زرٍ، والـذين اخترعـوا الآلات الحاسـبة والكمبيوتر لا يعرفون بدِّقةٍ كيـف تعمـل هـذه الآلات، هـي هديَّـةٌ مـن الله، وفي كـلِّ كمبيـوتر

جنيٌّ يعمل بإذنِ وإشرافِ القُطبِ المتصرِّف. سَنَة (١٩٩٩م) هي سَنَةٌ غير عاديَّة، مليئة بالإشارات غير العاديَّة...)[١].

وهذه القصص والتنبُؤات تجد آذانًا صاغيَّة من الأتباع، ففي صحيفة (الأندبندنت أون صنداي) يروي (روبرت فيسك) روايةً مثيرةً عن قريةٍ لبنانيةٍ صغيرةٍ تُدعى (سير الضنيه) قائلًا: إنَّ أتباع الزَّعيم الدِّينيِّ الصُّوفي شيخ الطَّريقة النَّقْشَبنديَّة يستعدون لنهاية العالم.

ويروي فيسك: إن الأُسَر النَّقْشَبنديَّة قامت بتخزين الزَّيت والموادِّ الغذائيَّة وشراءِ الخُيُول والبِغال استعدادًا لنهاية العالم، وملهِمُهم في ذلك هو الشيَّخ محمد القُبرصِي - محمَّد ناظم حقَّاني، قُبرُصيُّ الأصل- البالغ من العمر سبعةً وسبعين عامًا الذي يخشى من احتمال تعرض العالم لكارثة تحيق به، وقد بدأ ذلك يثير قلق عمدة قريَّة سير الضنيه الذي لا يريد أن يكونَ نهاية العالم على شَفَى قريتِهِ الجَميلةَ.

ويقول روبرت فيسك: إنَّ مختار القريَّة عَدَّدَ المخاوف النَّقْشَبنديَّة دون إبداء أي ابتسامة، ويقول: إنَّهم يتخوَّفون من حدوث فيضاناتٍ تقوم فيها قوَّةٌ شيطانيَّةٌ بقطع التَّيَّارِ الكهرُبائيُّ بَشكلٍ نهائيٍ وظهور المهدي الذي لن يكون بعده كهرباء ولا سيَّاراتٍ ولا حياة كالَّتي نعرفها.

وحسب فيسك فإنَّ أعضاء الطريقة الصُّوفية هم أصحاب طقوس سريَّة، وهناك أتباع لهم في سوريا ومصر وتركيا، ويذكر أنَّ الرَّئيس التركي الرَّاحل (تورغوت أوزال) كان نَقْشبنديًّا[٢].

---

(١) هذا هو الذي يقال عنه: القطب!

ليتنا لم نعش إلى أن رأينا ... كل ذي جِنة لدى الناس قطبًا

انظر: عجائب الآثار للجبرتي (١/ ٦٦)

(٢) http: //news.bbc.co.uk/hi/arabic/press/newsid_٥٠٨٠٠٠/٥٠٨٥٥٢.stm.

إنَّ علاقة الطُّرق الصُّوفية الموجودة بالتُّصوف القديم – تصوُّف الجُنَيْد والجَيْلاني ونحوهما –هو كعلاقة اليونان الذين يبيعون الخبز في الأفران ، أو المُسْكِرَات في الحانات ، أو البقَّالة في حَوَانيتِها بالنِّسبة إلى سُقراط صاحب نظريَّة المعرفة ، أو أفلاطون صاحب نظرية المثل، أو أرسطو صاحب المنطق !

يقول أحمد ابن أبي الحواري: (احذر أيَّها المريد أن تجالس أحدًا من الفقراء جواسيس القُلوب وربما دخلوا قلبك وخرجوا، فعرفوا ما فيه وأنت لا تعلم)(١).

ويقول علي وفا: (ما من نطفةٍ توضَعُ في رحمٍ بيد مَلَكٍ مخلَّقةٍ أو غير مخلَّقة إلا وقد أطلَعَنيَ الله عليها)(٢).

تأمل قليلاً! كل نطفة تُوضَعُ في أيِّ رحمٍ فـ«علي وفا» يعلمها!

وهكذا هي المبالغات ومشاركة الله فيما اُختصَّ به.

يقول ابن تيمية / : (فأمَّا القول الباطل فإذا بُيِّن فبيانه يُظهرُ فَسَادَه حتى يقال :كيف يشتبِه هذا على أحد، ويتعجَّب من اعتقادهم إياه، ولا ينبغي للإنسان أن يعجب ، فما من شيءٍ يُتَخَيَّل من أنواع الباطل إلا وقد ذهب إليه فريقٌ من الناس، ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنَّهم (أموات) وأنَّهم (لا يفقهون) (ولا يعقلون) وأنَّهم (في قولٍ مختلفٍ يُؤفَكُ عنه من أُفِكَ)(٣).

خرافات صوفيَّة معاصرة:

ومن العقائد الضَّالة الَّتي تروج ما ذكره صاحب كتاب أعلام الصُّوفيَّة المعاصرين:

(١) قواعد الصوفية للشعراني (١/ ١٥٨).

(٢) مناقب الوفائية (٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٥).

(ذكر أنَّ الشَّيخ (شوقي العوالي) أراد الحجَّ وذهب للشَّيخ (عيسى جودة) كي يدعو له، يقول: وبينما أنا في الحجِّ وكنتُ في الطَّواف إذا بالنَّاس يتوقفون عن الطَّواف، يقول: وكدتُ أهلك وإذا بي أُنادي: يا سيدنا الشَّيخ عيسى مَدْدْ.. أَدرِكْنِي، ويُقسِم الشَّيخ شوقي أنه أبصر أمامه على الفَور مولانا الشَّيخ عيسى بجسمه وشخصه وأخذ يُفسِحَ له في المطاف حول الكعبة حتى أتمَّ طوافه! ومولانا الشَّيخ عيسى لم يبرح وطنه هذا العام)[1].

وفي مجلَّةِ البحوث والدِّراسات الصُّوفية ما نصُّه: (وقد أضاف سيِّدي علي وفا ا سرًّا رائعًا لملاقاة سيِّدنا موسى لسيِّدنا الخِضر إ يتبدَّد به وَهْمَ الحائِر، إذ قال: (الخضر × مَظْهرٌ عِرفاني، رأى فيه موسى × حين وجوده ما سأل في مَقامه العِرفاني أن يراه في شهوده، وذلك المظهر كان منه وعليه فافهم)[2].

يقول عبد الهادي الخرسة في شَرْحه للوظيفة الشَّاذليَّة: (يقول سبحانه: *وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ& [التوبة:٦٢] ويقول: *وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ& [التوبة:٧٤] فالضمائر في قوله: (من فضله) و (أن يرضوه) مفردة؛ لأن الحَضْرَةَ واحدة)[3] !!

وقد ذكر الصوفي «علي الجفري» أنَّ الحلاَّج قُتِلَ بسيفِ الشَّريعة فهو زنديق، أما في الحقيقة فهو وليٌ من أولياء الله!!

بل يقول أيضًا: (إنَّ المسلم إذا مر بضيق وقال: يا سيدي عبد القادر أو يا سيدي المحضار

(١) أعلام الصوفية المعاصرين (ص:٦٤١).

(٢) مجلة البحوث والدراسات الصوفية (ص:٢٩٠) وللقارئ أن يتأمل ما الذي طلب موسى × أن يراه في شهوده، ثم رآه في صفة الخضر. ولتذكير القارئ: فقد قال موسى × في كتاب الله: (رب أرني أنظر إليك).

(٣) شرح الوظيفة الشاذلية (٤٧/ ٤٨).

فليس عليه من بأس)[١].

يقول عبد الرزاق البيطار في ترجمة محيي الدِّين بن محمَّد بن هديب الشَّهير بالعاني:

(اشتهر بين الناس بالصِّدق والصِّلاح والرِّفق والنَّجاح والزُّهد والتَّقوى بالسرِّ والنَّجوى، والهمَّة العالية والطَّاعة السَّامية، والكَشْفِ عن المُغيَّبات، وكان له قُرناء يذكرون له من الشَّمائِلِ ما لم يكن لكُمَّلِ الأولياء، إلى أن استوى على عرشٍ علاه، وظنَّ أن لا أحد يساويه في حلاه فخضعوا إليه، وخفضوا رءوسهم وأطاعوه وجعلوه رئيسهم وتوجَّه كلٌّ منهم إلى مكان، يمدحه فيه، إلى أن صار إذا عمل أكبر الكبائر، يقول الناس: هذه لا تعدُّ من الصَّغائر،لأن الشَّيخ له أحوال ولا نعرف ما يقصد عند بعض الأفعال، فهو من أهل الكَشْفِ والشُّهود، ونحن من أهل الحِجَابِ المَسْدُول والمَمْدُود!!فحينئذٍ أَطْلَقَ أقوالَه وأَظْهَر أفعاله، وأتى بما لا يُصدِر مثله عن أهل الشَّقاءِ فضلًا عن ذوي الطَّاعة والتَّقى)[٢].

الدِّفاع عن الحلاَّج وابن عربي:

لقد وصل ببعض المتصوِّفة المعاصرين إلى أن يدافعوا عن الحلاَّج وابن عربي، ففي العدد الثاني عشر من مجلة الإسلام والتصوف نعتت المجلَّةُ الحلاَّجَ بأنه شهيد الصُّوفية- وهو الذي قُتِلَ لزندقته بفتوى من علماءِ عصره- وأنَّه مات مقتولًا شهيدًا في مقالة طويلة[٣].

ويبعد النَّجعة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود فيقول:

(قضية الحلاَّجِ معروفٌ سرُّها، وما كان خفيًّا يومًا من الأيام، لقد كان الحلاَّج قوةً جارفةً يلتفُّ حوله النَّاس أينما حلّ، وكان يحب آل البيت النبويّ ككلِّ صوفي، ولكن آل البيت إذ

---

(١) www.alsoufia.com.

(٢) حلية البشر في أعلام القرن الثالث عشر (٣/ ١٤٨٨).

(٣)مجلة الإسلام والتصوف العدد الثاني عشر.

ذاك يطمعون في أن تكون الدَّولة لهم، وما كان بنو العباس يطمئنون إلى شخصيَّةٍ كشخصيَّة الحلاَّج، فما كان مقتل الحلاَّج دينيًا قط، وإنّما كان سياسيًّا بحتًا، ومن السَّهل على الملوك المستبدين أن يزيّنوا القضايا، والألفاظ التي ينسبونها للحلاَّج ليست في كتبٍ من كتبه الموجودة)[1] وليت شيخ الأزهر ذكر دليلًا واحدًا على هذا ولكنَّه التعصُّب؟!

وينبري الدُّكتور محمد سعيد البوطي مدافعًا عن ابن عربي وعمَّا في كتبه من ضلال ويرى (الإمساك عن اتّهامه بأيِّ جنوحٍ أو زيغٍ، فإنّنا لا نملك أن نجزم بأنَّ هذا الباطل من كلامه يقيناً، بل لا نملك حتّى الظن الرَّاجح بذلك)[2] وهذه شَنْشَنَةٌ نعرفها من أخزم، فكلَّما قال الصُّوفية الضلال والكفر بالله قالوا: هذا مكذوب علينا.

وممَّا ينقضُ هذا الزَّعم أنَّ كتاب الفتوحات المكيَّة توجد منه نسخةٌ كاملة بخطِّ ابن عربي[3].

يقول الشَّيخ محمَّد الغزالي / : (لقد اطَّلعت على مقتطفاتٍ من الفتوحات المكيَّة لابن عربي فقلتُ: كان ينبغي أن تُسمَّى الفتوحات الرُّومية! فإنَّ الفاتيكان لا يطمع أن يُدسَّ بيننا أكثر

---

(١) كتاب العارف بالله أبو العباس المرسي (ص:١٢٩) طبعة دار الشعب.

(٢) (التصوف السليم جوهر الإسلام) مقال للبوطي في مجلة المنار الإماراتية العدد التاسع، يقول الدكتور البوطي في تقديمه لكتاب نصيحة لعلماء نجد للرفاعي ما نصه منكرًا على أهل العلم رعايتهم لجناب التوحيد بشطط من القول: (ثم إن العالم الإسلامي كله يفاجأ اليوم بهذه البدعة التي يمزق بها إخوتنا مشايخ نجد إجماع سلف المسلمين وخلفهم إلى يومنا هذا، فدار ولادة رسول الله تهدم وتُحول إلى سوق للبهائم، ودار ضيافة رسول الله ﷺ في المدينة تحول إلى مراحيض!.. وتمر أيدي المحو والتدمير على كل الآثار التي تناوبت أجيال المسلمين كلهم شرف رعايتها والمحافظة عليها.) انظر: مقدمة نصيحة لعلماء نجد.

(٣) انظر: مؤلفات ابن عربي لعثمان يحيى (٤٣١، ٤٧٧، ٤٧٩).

شراً من هذا اللَّغو.. وممَّا يلفت النَّظر أنَّ معهد الدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة السُّوربون قد اتفق مع إحدى عواصم الدول العربيِّة على طبع الفتوحات وإخراجها في بضعةٍ وثلاثين جزءاً لحساب مَنْ يتم هذا العمل في هذه الأيام العصيبة)[1].

ويقول أحد الصُّوفية المعاصرين عن شيخه:

(ولقد كان مولانا الشَّيخ جودة دائـمًا في حضورٍ مع الله تعالى في مراقبةٍ ومشاهدةٍ، ومؤنسة ومُنادمَة، لقد وصل في القرب إلى درجة الفناء الكامل في الله).

ويستطردُ قائلًا: (وفي مقام الفناء يشهدُ العارف الحقيقة المطلقة ويشهد الجمال القُدُسي ويكون بلا هو حيث لا يشهد سوى الله).

ولنا أن نتساءل: ما الفرق بين هذا الكلام وكلام محيي الدِّين ابن عربي المليء بالزندقة[2]؟!

ومن الكرامات المعاصرة كرامة إحياء الموتى!

روى صاحب أعلام الصوفية أنَّ رجلًا قُتِلَ وحُمِلتْ جثته إلى باب أحد الأولياء فاتُهِمَ به، فما كان من الولي إلا أن قال للميت: قمْ باسم الله، وقل: من قتلك، فقام وأخبرهم بقاتله.

ويعلِّق صاحب الكتاب بقوله: إنَّ هذا الولي عيسوي المقام؛ لأنَّه يحيي الموتى!!

ومن كرامات هذا الولي أيضًا: سلامه أثناء زيارته لقبر النبي ﷺ على اليدِّ الشريفة التي امتدَّت من شبَّاك الحُجرة المحمَّدية.

ومن كراماته: أنه في يوم عرفة من كل عام يدخل إلى غرفة في بيته ويأمر بعدم الدُّخول عليه، ثم يأتي الحُجَّاجُ من مريديه فيُقسم بعضهم أنَّه رأى الشَّيخ واقفًا بعرفة.

---

(١) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل (٦٠-٦١).

(٢) أعلام الصوفية (ص:٦١٤).

ومن عجائبه: أنَّه كان يلتقي البدوي في البرزخ.

ومن كراماته المزعومة: نصحه لولده بترك المرأة التي أراد أن يتزوجها لأنَّها ستموت بعد ثلاثة أيام[١].

يقول ابن تيميَّة / :

(ومما ينبغي أنَّ يعرف أن الكرامات قد تكون بسبب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسدُّ حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية الله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلُّو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التَّابعين أكثر منها في الصحابة)[٢].

ونقطة الإشكال في مسألة الكرامة ليست هي من حيث وجودها ولا من حيث وجود أشخاص صالحين يمدِدْهم الله بها فهذا محض فضلٍ من الله جل وعلا، وإنَّما نقطة الإشكال الكُبرى جَعْلَها المقياس للولاية والصَّلاح والتَّقوى، فإنَّه بمقدار ما يظهر على يدي الشَّخص من خوارق تكون ولايته وصلاحه وتقواه، لا بالتزامه بأوامر الشَّرع وأحكامِه.

يقول أبو العلا عفيفي: (لم تخرج كلمة (ولي) في القرآن عن معناها اللُّغوي البسيط ولكنه تطوَّر تطوُّرًا عجيبًا على أيدي الصُّوفية والشِّيعة، فتحوَّلت عن معناها القرآني الذي هو النُّصرة والحماية اللَّتان يمنحهما الله عبادَه المتقين إطلاقًا إلى نصرة طائفةٍ خاصَّةٍ لها شروطٌ وعلامات، وبعد أن كانت حقًا مشاعًا لجميع المسلمين أصبحت قاصرة على نفرٍ تنتقل إليهم تنقلًا وراثيًا.. والولاية مرتبةٌ لا يصل إليها الوليُّ بأعماله ومجاهداته وإنّما هي منحة إلهية يمنحها الله من يشاء من عباده)[٣].

---

(١) انظر: أعلام الصوفية (ص:٦١٩) وما بعدها.

(٢)مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨٣).

(٣) التصوف (ص:٢٩١).

٣- تمييع قضايا الموالاة والمعاداة في ضمير الأمَّة:

فقد باركت الطَّريقة القادريَّة الصُّوفيَّة الاحتلال الأمريكي للعراق بقولها على لسان شيخها: (**إنَّنا وأخصُّ بذلك طريقتنا العليَّة القادريَّة الكستزانيَّة كنَّا سبَّاقين في مباركة التغيرات التي حدثت في بلدنا الحبيب**)(١).

وقد أصدر المجلس الصُّوفي الأعلى في العراق بيانًا دعا فيه إلى جواز التعاون مع قوات التَّحالف لإسقاط الرَّئيس العراقي كردٍّ فعل على ما وصفه بجرائم النظام العراقي ضدّ المسلمين والمراقد المقدَّسة في العراق.

وبرَّر هذه الفتوى بقوله: (فقد تحالف النبيُّ ﷺ مع اليهود لمجابهةِ ظُلم وكفر قريش)!(٢).

وفي العراق أيضًا لكن في مدينة كركوك أوضح عددٌ من أهالي المدينة أن مِن المتصوفة في المدينة مَن أخذوا يهادنون الاحتلال والحكومة المعيَّنة خوفًا من الاعتقال، خاصَّة شيخ الطَّريقة الكستزانية ويدعى محمَّد الكستزاني، والذي أعلن قبل أشهر أن الجهاد في العراق ينبغي أن تنطبق عليه عدة شروط قبل إعلانه، منها: صفاء القلب وتحقيق الصلة بين العبد وربه، وهو ما أثار حفيظة المقاومة العراقية وأهالي المدينة على حدٍ سواء(٣).

صوفيَّة الشِّيشان:

لقد خطب محمد سيد الخشتادي إمام مسجد خسافيورت الصُّوفي الشِّيشاني غير مرِّةٍ يصرف الناس عن الاشتراك في جهاد الشِّيشان ويقول: (من اشترك فيه وقتل فإنه يخاف على

---

(١) http://www.al-mashriq.net.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط الأحد (٠٤ صفر ١٤٢٤هـ الموافق: ٦ أبريل ٢٠٠٣م) العدد (٨٨٩٥).

(٣) www.islammemo.cc/news/ في السبت (٢٢رجب ١٤٢٦هـ - ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م).

إيمانـه، أمـا الجنـود مـن الجـيش الـرُّوسي الـذين قُتِلـوا في أفغانـستان فهـم -عـلى حـدّ قولـه- شُهداء!!)[١].

يقول عبد الوهَّاب الشَّعراني:

(أُخِذَ علينا العهد لا نزدري من رفعه الله علينا من الأكابر في دينٍ ودنيا أدبًا مع الله تعـالى وما رفعهم علينا إلا لحكمةٍ بالغةٍ)[٢].

ويقول أيضًا:

(ممَّا منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ حفظي للأدب مع السُّلطان ونوَّابه فـلا اعـتراض علـيهم في فعل ما هو من ملازمهم عادة بل أبتكِرُ لهم المحامل الحسنة في الـشَّريعة والأجوبـة المُسكِتَة، فحتـى لـو جـاء ملـوك الفـرنج إلى بلادنـا فقـام مماليـك الـسُّلطان بخـدمتهم وأركبـوهم الخيـل وطرّقوا لهم الطريق لا اعتراض بل أحمل ذلك على محامل صحيحة في الشَّرع.. فإن الـولاة أتـمّ نظرًا منَّا بيقين ولذلك ملَّكهم الله تعالى وحكَّمهم فينا)[٣].

يقول ابن عربي: (ومن اتسع في علم التَّوحيد ولم يلزم الأدب الشَّرعي فلم يغضب لله ولا لنفسه، فإنَّ التوحيد يمنعه من الغضب، لأنَّه في نظره ما ثـم مـن يغـضب عليـه لأحديـة العـين عنده في جميع الأفعال المنسوبة إلى العالم، إذ لو كان عنده مغضوب عليـه لم يكـن توحيـداً، فـإنّ موجب الغضب إنَّما هو الفعل ولا فاعل إلا الله)[٤].

ويقول التجاني في رسالة إلى أهل فاس:

(وسلِّموا للعامـة وولاة الأمـر مـا أقـامهم الله فيـه مـن غـير تعـرض لمنـافرةٍ أو تبغـيضٍ أو

---

(١) الفروق بين أهل السنة والصوفية (ص:٥٠١).

(٢) البحر المورود في المواثيق والعهود (ص:٣٧٧).

(٣) لطائف المنن والأخلاق (ص:٤٨٥).

(٤) الفتوحات المكية (٥/ ٢٧٠).

تنكيرٍ، فإنَّ الله هو الذي أقام خَلْقَه فيها أراد، ولا قدرة لأحدٍ أن يخرج الخَلْق عما أقامهم الله فيه)[١].

ورحم الله ابن حزم الأندلسي إذ يقول:

من المُحتَمِي بالله ربِّ العوالِمِ	ودين رسولِ الله من آل هاشِمِ
سنفتحُ قسطنطينيةً وذواتَها	ونجعلكم قوتَ النُّسور القشاعِمِ
ونملِكُ أقصى أرضِكم وبلادكُم	ونلزِمكُمُ ذلَّ الجزى والمغارِمِ
ونفتحُ أرضَ الصِّين والهندِ عُنوة	بجيشٍ بأرضِ التُّرك والخزر حاطِمِ
مواعيدُ للرَّحمنِ فينَا صَحيحةٌ	وليَست كأمثَال العُقولِ السَّقائِمِ
إلى أن يُرى الإسلامُ قد عمَّ حُكْمُه	جميع الأراضي بالجُيوشِ الصَّوارِمِ

أمَّا في مصر فقد أفاق أهلها على اثني عشر ألف صوفي يحتشدون في مظاهرةِ حبٍّ وتأييد لترشيح الرَّئيس مبارك في مزرعة الكرام بالبحيرة و(٨) ملايين صوفي يتوجهون لسيادته بهذا النداء.. (إنَّ احتياج النَّاس إليكم من نعم الله عليكم)[٢].

يعلِّق الكاتب اليساري د.حسن حنفي على هذا الخبر بقوله:

«سَكَتْ دَهْرًا ونَطَقَ كُفْرًا». هؤلاء هم صوفيَّة السُّلطان الذين أعلنوا عن تأييدهم للرَّئيس قبل الاستفتاء الأخير في مصر، فمادامو قد اختاروا مبايعة الرَّئيس ضد إجماع الأمَّة على رفض التَّجديد والتَّمديد. فلماذا لم يدينوا قانون الطَّوارئ والأحكام العرفية وزجّ

(١) جواهر المعاني (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: مجلة التصوف الإسلامي العدد (٣١٥) – ربيع الأول (١٤٢٦هـ). علقت إحدى الطرق الصوفية لافتة كبيرة في ميدان التحرير تؤكد أيضًا أن الرئيس مبارك ينتسب إلى آل البيت ‡ وتدعو الناس إلى انتخابه. انظر: القدس العربي اللندنية الخميس (٨/ ٩/ ٢٠٠٥م).

المعتقلين السِّياسيين في السُّجون بلا تحقيقٍ أو تهمةٍ أو محاكمةٍ أو إدانةٍ؟ لماذا لم يرفضوا التَّوْريث، والوراثة ليست مصدرًا من مصادر السُّلطة في الإسلام ولا الانقلاب الذي سمَّاه القدماء «الشَّوكة»؟ لماذا لم ينقُدوا الفساد، وتبديد أموال الأمَّة، ونهب ثرواتها، وبيع القطاع العام، وغلاء الأسعار، ونواب القروض، وتهريب الأموال إلى الخارج؟ لماذا لم ينقدوا مظاهر التَّغريب في حياتنا، وبيان مخاطر العولمة على هويَّة الأمَّة؟ لماذا لم ينقدوا نظم الهيمنة السِّياسية والاقتصادية للخارج وتبعية الداخل، وفيهم من العلماء والمتخصِّصين الكثير؟)[1].

يقول الشَّيخ ساري علي حكمت، الأمين العام للاتحاد الوطني للزَّوايا بالجزائر: («فَتْح زاوية يعني غَلْق سجن» بالنظر إلى الدَّور المهم الذي تقوم به الزَّوايا في تربية النَّشء تربيةً دينيةً وعلميةً تَقَيه من الانحراف والتَّشدُّد، وهو ما يفرقنا عن التَّفكير السَّلفي الجهادي «كانوا يتهموننا بالسَّير وراء السُّلطة والانصياع لأوامرِ السُّلطان، **قد يكون ذلك صحيحاً!** غير أنَّ تجربة السَّنوات العشر الأخيرة أثبتت خَطَر الإسلام الجهادي على مُكتسباتِ الأمَّة»).

ويقول سي الجيلالي- من مرجعيات الزَّوايا بالجزائر-: (إنَّه من باب الاحتياط ولقطع الطَّريق أمام حَمَلة الفِكر السَّلفي الجهاديُ يُقدَّم لأجهزة الأمن نسخاً من ملفات الطَّلبة الذين يرغبون في الانتساب إلى زاويته «حتى يتم تمحيصها والتَّحقيق فيها»[2]!

بل وصل الحال بالصُّوفي النَّقْشبندي «أحمد كفتارو» أنَّه (كان في طرحه لأيِّ خطابٍ يوجهه إلى النَّصارى يصدره بقوله: إخواننا المسيحيُّون)[3].

وكان ذا صلةٍ وثيقةٍ بالشَّيعة الإثني عشريَّة، يقول تلميذه محمَّد حَبَش: (كذلك فقد

---

(١) صحيفة (الزمان) العدد (٢١٤٥) التاريخ (٢٥ / ٦ / ٢٠٠٥م).

(٢) صحيفة الشروق الجزائرية في (١٥/ ٥/ ٢٠٠٧).

(٣) انظر: كتاب الشيخ أحمد كفتارو ومنهجه في التجديد والإصلاح (ص:٣٢٦).

انطلق إلى المسلمين من الشَّيعة بطوائفها ومذاهبها المختلفة، وبادَرَهم بالزِّيارة، وكان من بركة هذه اللَّقاءات صدور فتوى شيخ الأزهر الشَّريف بتوقيع الشَّيخ شَلْتُوت، وهي تدعو المسلمين إلى نبذ الخِلاف، واعتبار المذهب الجعفري خامس المذاهب الإسلاميَّة المعتمدة)[1].

موقف الصُّوفية من الجهاد:

إنَّ المتأمل في تاريخ الصوفية يجد أن موقفهم من الجهاد ومقاومة الاستعمار في القديم والحديث موقف متباين، يسوده التذبذُب والاضطراب؛ فبينما نرى طائفةً منهم أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار، وأقضَّت مضاجع المستعمرين، نرى على النَّقيض الآخر طائفةً أخرى نكَصَت عن الجهاد، ونكَلَت عن الحرب، وانزوت على نفسها فَرَقًا وهَرَبًا.

وثالثة وهي شرُّ طوائف الصُّوفيَّة جميعًا، وهي الطَّائفة التي وقفت معه جنبًا إلى جنب، تؤازره، وتناصره، وتقاتل في صفوفه، وتحت رايته، وتدعو الناس إلى الرُّضوخ له، وتحذِّر من مغبَّة مقاومته[2].

يقول الباحث جمال خليفة في كتابه «موقف فقهاء الشَّام وقضاتها من الغزو الصَّليبي» وهو يؤرخ للغزو الصَّليبي لديار الإسلام في القرن الخامس الهجري: (ضمَّت مدن بلاد الشَّام مجموعةً من فقهاء الصُّوفية في النِّصف الثاني من القرن الخامس الهجري، والّذين غالبًا ما تلقبهم المصادر بالصُّوفي، والدِّراسات الحديثة اهتمَّت بالأدب الصُّوفي والفلسفة الصُّوفية، ولكن موقفهم من الغزو الصَّليبي مازال بحاجةٍ إلى بحثٍ وتحليلٍ، ويبدو أنَّ بعض فقهائِهم قد بلغوا مرتَبَةً اجتماعيةً وعلميةً مرموقة، فكان الحسن بن الحسين الصُّوفي الكلابي يلقب برئيس دمشق[3] أي: رئيس الفقهاء الصُّوفيَّة بدمشق، والصُّوفي سَهْل بن بِشْر أبو الفرج

---

(١) المصدر السابق (ص:٩٤).

(٢) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر (١/ ٥٣٨).

(٣) انظر: تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٧٤).

الإسفرائيني الدِّمشقي، والصُّوفي أبو القاسم علي بن محمَّد بن يحيى السّلمي ناهيك عن الإمام الغزالي الذي زار دمشق وبقيَ فيها ثلاثة أعوام يعظ بآرائه خلال الفترة (٤٨٩-٤٩٢هـ) وكتب فيها أعظم مؤلَّفاته (إحياء علوم الدين) لكنَّه لم يذكر شيئًا عن موقفه خاصة، والصُّوفية عامةً من الغزو الصَّليبي رغم معاصرته لوصول الحملة الصَّليبية الأولى، ولا يشير كذلك في مؤلَّفاته إلى موقف الصُّوفية من الجهاد والحروب بشكل عام، ولعلَّ ذلك الموقف يستند إلى مبدأ الاعتزال المعروف الذي تقوم عليه آراؤه وأفكاره).

ويضيف قائلاً: (وعلى الرغم من أنَّ مصادرنا لا تشير إلى موقفهم من الغزو الصَّليبي لبلاد الشام لكنها لابد وأنَّها أثَّرت سلبًا على الرُّوح المعنويَّة للسُّكان ولو بصورةٍ غير مباشرة، وذلك بتأكيدها على الاعتزال في وقت كان المسلمون بحاجة إلى تعميق فكرة الجهاد ولذلك تعرضوا لنقدٍ لاذعٍ من بعض المشايخ في الفترات المتأخرة كابن تيميَّة الذي كتب: ولو أنَّهم اتَّخذوا من الرَّسول أُسوةً لبذلوا ما في وسعهم في تحريض المسلمين على الجهاد والكفاح، ولحملوا سيوفَهم وخرجوا إلى ساحات الوَغَى كما فعل الرَّسول والصحابة ولا سيَّما أنَّهم عاشوا في عصر تعرَّضَ الإسلام فيه للزوال، وتعرَّض المسلمون فيه لأشدِّ أنواع البلاء)[1].

يقول الدكتور زكي مبارك بعد أن تحدث عن الحروب الصَّليبية: «أَتَدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصَّليبية؟

لتعرف أنَّه بينما كان بطرس النَّاسِك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخُطَب وتحبير الرَّسائل يحثُّ أهل أوروبا على احتلال أقطار المسلمين كان الغزالي (حُجَّة الإسلام) غارقًا في خلوته منكبًا على أوراده (المبتدعة) لا يعرف ما يجب عليه من الدَّعوة إلى الجهاد.

ويكفي أن نذكر أنَّ الإفرنج قبضوا على أبي القاسم الرَّملي الحافظ في يوم فتح بيت المقدس ونادَوا عليه ليفتدى فلم يفده أحد، ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عددًا لا يُحصيه إلا

---

(١) انظر: موقف فقهاء الشام وقضاتها من الغزو الصليبي (ص:٦٠)، وما بعدها.

الله كما ذكر السّبكي في طبقاته، وما ذكرنا هذه المأساة إلا لنعدَّ القارئ لفهم حياة الغزالي». انتهى[١].

ويقول الدكتور سفر الحوالي وهو يرصد مدى الانحراف الذي أحدثه المتصوفة في الدَّولة العثمانية: (وامتدَّ البلاء إلى الأربطة والثُّغور التي بنيت أساسًا للجهاد ومقارعة الكفَّار إذ تحولت إلى زوايا وتكايا للصُّوفية)[٢].

ولاشكَّ أنَّ هذه المسألة – الجهاد وموقعه في الفكر الصُّوفي – تحتاج إلى مزيد تفصيلٍ وبيان؛ لغموض يَكْتَنِفُها من جهة ولعدم العدل في التعامل مع هذه القضيَّة من جهة أخرى، ولا شكَّ أنَّه لا يجوز –مع شَنَئَانِ الصُّوفية– ألَّا نَعدِل في تعاملنا وحُكْمِنا عليهم إذ إنَّ هذا خلاف ما أمرنا به من العدل مع من عادانا من الكفار، فكيف بمن ينتسب لأهل الإسلام في العموم.

فلابدَّ لنا من التنبيه إلى أنَّ الصُّوفية جزء من الأمَّة يمرُّ بها ما يمرُّ بالأمَّة من قوةٍ وضعفٍ، ومن علوٍ وانكسار، ومن اجتماعٍ وتفرق، والغَبْن كل الغبن يكون حين يتحالف المسلم مع العدو الكافر أو أن يجعل المسلم نفسه مطيَّةً لمن يحادُّ الله ورسوله سواء أكان صوفيًا أو غير ذلك.

يقول الدُّكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم:

(ولقد ساعد أيضاً على انتشار هذه الطَّريقة (التجانية) قيام الإدارة الاستعماريَّة بتشجيع رجال الطُّرق الصُّوفية وخصوصاً الطَّريقة التجانية، وكان هذا التَّشجيع بالمال والنُّفوذ وذلك من أجل تشويه صورة الدِّين الإسلامي عن طريق نشر البدع والخرافات)[٣].

---

(١) الأخلاق عند الغزالي (ص:٢٥).

(٢) انظر: كتاب العلمانية (ص:٥١٨).

(٣) الطرق الصوفية في أفريقيا (ص:٦٥).

ويقول روم لاوندو:

(وقد عرف الأوروبيون رغبة رجال الطُّرق الصُّوفية في الحصول على المال والنفوذ فراحوا يغذون هذه الرُّوح حتى قال جوليان بأنَّ الحكومة الفرنسية عرفت كيف تجمع الطُّرق الصوفية حولها عن طريق التَّمويل والحماية)[١].

(وبعد الفتح بدأ المراغنة إعادة بناء طائفتهم، ووجدوا الدَّعم من الحكومة(الإنكليزية) التي أقامت حِلْفًا مع الختميَّة، وهذا ما ساعد الختميَّة على استعادة نفوذها، وظل السيِّد (المرغني)على تعاون مع الحكومة، وبعد الحرب العالميَّة الأولى وانهيار الدَّولة العثمانيَّة سافر وَفْدٌ من زعماء السُّودان إلى لندن لتهنئة الملك بالنَّصر، وكان السيِّد المرغني على رأس الوَفْد، وكان السيد عبد الرَّحمن المهدي مع الوَفْد، وسلَّم سيف والده الإمام المهدي إلى الملك تعبيرًا عن الوَلاء، وكان ردُّ الملك أنَّه قَبِلَ السَّيف كرمز للولاء وأنه يردُّه إليه وإلى ورثته)[٢].

يلخِّص الدكتور عبد الله إبراهيم واقع الطُّرق الصُّوفية في أفريقيا بقوله:(ووجدنا في كثير من مناطق القارة الأفريقية تنافسًا بين هذه الطُّرق وصل إلى حدِّ التَّعاون مع القُوى الوثنية ضد حركات الجهاد الإسلامية، بل ورفض زعماء الطُّرق الصُّوفية الانضمام إلى بني وطنهم لتكوين جبهة إسلاميَّة واحدة ضدَّ هذا المعتدي، ولعل خير دليلٍ على هذا العمل قيام الطَّريقة التجانية في الجزائر بالتَّحالف مع القُوى الفرنسية ضدَّ الأمير عبد القادر الجزائري، وحدث نفس الشَّيء عندما تحالفت القُوى الإسلاميَّة من الطريقة القادريَّة ضد الحاج عمر الفوتي التكروري في منطقة ماسينابل، وحاصرت قوات أحمد البكاي القادري قوات الحاج عمر الذي اضطر لخوض غمار معركة حربية ضدّ هؤلاء المسلمين ليخلِّص جيشه من الحصار،

(١) روم لاوندو تاريخ القرن العشرين (ص:١٤٢).

(٢) خبايا وأسرار في السياسة السودانية (ص:٥٢).

وكانت النتيجة استشهاد هذا الزَّعيم الإسلامي على أيدي القوات الصُّوفية وليس القُوى الفرنسية)[1].

يقول الدكتور عمّار علي حسن:

(لقد انقسم موقف الصُّوفية من الاحتلال البريطاني لمصر، فهناك طرق مثل الإدريسيَّة الأحمديَّة كانت تحصل على مساعدات بريطانيَّة كبيرة، وكان شيخها يمد الإنجليز بمعلوماتٍ عن تحركاتِ الأدارسة في منطقة عَسْير بالجزيرة العربية، وهناك المرغنية والختمية التي وجد البريطانيون في معارضتها للمهدية في السُّودان موقفًا يخدم مصالحهم، فقدَّموا إليها الدَّعم المادّي والمعنوي، كما ساند الاحتلال الطريقتين الغنيميَّة والدمرداشيَّة التي ارتبط شيخها مصطفى الدمرداش باشا بعلاقاتٍ خاصةٍ مع جورج لويد المندوب السَّامي (١٩٢٥-١٩٢٩) وعلى الجانب الآخر عارض محمَّد ماضي أبو العزايم شيخ الطَّريقة العزمية الاحتلال، وسمح لجمعية اليد السَّوداء المناهضة للإنجليز، وفي المقابل نجد الشيخ محمد إبراهيم الجمل شيخ الطريقة السمانية وصل به الحال في تأييد الإنجليز إلى جمع توقيعات المواطنين ضد ثورة (١٩١٩م) والدَّعوة إلى بقاء الإنجليز)[2].

نلحظ مما سبق وجود تباين في المواقف ، فثمَّة المجاهد الذي يقارع أعداء الله، وثمَّة المهادِن المستخذي الذي جعل نفسه مركبًا سهلًا لأعداء الأمة.

من الأمثلة الناصعة في الجهاد والفداء الحركة السَّنُوسِيَّة المجاهدة التي قامت بدورٍ كبيرٍ ضدَّ أعداء الأمة في ليبيا.

فهل كانت الحركة السَّنُوسِيَّة صوفيَّة مغرقة في التصوف منشغلة بالحلقات الراقصة المسمَّاة زورًا وبهتانًا حلقات ذكر؟ أم كانت تقضي وقتها في السُّكْر والحال والصحو والمحو؟ أم

(١) الطرق الصوفية في إفريقيا (ص:٢٣٠).

(٢) الصوفية والسياسة في مصر (ص:٩٧).

تراهم يقضون زمانهم بقراءة كتب ابن عربي والحلاَّج؟ أم كانوا يشغلون مريديهم بالطَّواف حول القبور واستجداء الرَّحمات من المقبورين؟

يقول المستشرق الأمريكي لوثروب ستودارد عن السنوسي:

(وكذلك حصلت ريبة بمكَّة لميلِه إلى بعض المبادئ الوهَّابيَّة)[1].

ويقول أيضًا متحدثًا عن الحركة السَّنُوسِيَّة بقوله:

(وهم أشدُّ أعداء الأوروبيِّين من بين جميع طرق الدراويش، وقاعدتهم الجهاد ضدّ الكفار وجمع كلمة المسلمين أجمعين على العدو العام)[2].

يقول صلاح مؤيد العقبي:

(الطَّريقة السَّنُوسِيَّة طريقة إصلاحيَّة تجديديَّة، تأثَّر مؤسِّسُها بالحركة الوهَّابية لصاحبها محمَّد بن عبد الوهَّاب قدَّس الله روحه، وتهدف السَّنُوسِيَّة فيما تهدف إليه نشر الإسلام وإصلاح عقيدته ممَّا عَلِقَ به من أنواع البدع والضلالات)[3].

ولكن ما الذي يدور داخل الحركة؟ ما هو المنهج الذي يتدارسونه؟

يقول صلاح العقبي:(تختلف الزَّوايا السَّنُوسِيَّة في مهامِّها ووظائفها عن الزَّوايا المعروفة منذُ زمنٍ بعيد، فهي كما خطَّط لها مؤسِّسها الإمام السّنوسي زيادة على رسالتها في التَّربية الرُّوحية والتَّعليم وبعض الأعمال الخيريَّة والاجتماعية، فهي مؤسَّساتٍ لتكوين الدُّعاة ومراكز عمل وجهاد يدرب فيها الأتباع في كلِّ يوم جمعة على استعمال السِّلاح، وتعقد لذلك مسابقات تُخصَّصُ فيها الجوائز للفائزين، كما يتعلَّم الفروسيَّة والرماية وركوب الخيل، كما

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٢/ ٣٩٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٩٨).

(٣) الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها (ص:١٩٤) بتصرف يسير.

تُعلـم مختلـف الـصِّناعات كالنِّجـارة والحـدادة والـسِّباكة والـسِّباحة والزِّراعـة وغـرس الأشجار)[١].

يقول الدكتور علي الصلَّابي:

(وكـان علـماء الحركـة الـسَّنُوسِيَّة يحـاربون العقائـد الفاسـدة بـين القبائـل في الـصَّحراء الكبرى، ويرشدون الناس إلى حُرْمة الغُلو في تقـديس المـشايخ الأحيـاء والأمـوات، ولا تـأذن لأتباعها أن يذكروا ميتًا عند قبره بغير الدُّعاء له والترحم عليه)[٢].

ويقول الشَّيخ محمَّد رشيد رضا / :

(استطاعت دولة فرنسا إفساد بأس جميع الطَّرائق المتصوفة في إفريقية، واستمالة شـيوخها بالرِّشوة إلا الطَّريقة السَّنُوسِيَّة)[٣].

ولا بأس أن نسوق مثـالًا آخـر يحـذو حَـذو الحركـة الـسَّنُوسِيَّة أَلَا وهـي حركـة شـامل في أوائل هذا القَرْن التي قارعـت القـوَّات القيـصريَّة في بـلاد الشِّيـشان، وقـد كـان يُـسمِّي أتباعـه بالمريدين، وقد كان أيضًا منتميًا للطَّريقة النَّقْشَبنديَّة، ولكنه لم يقـم بـالأوراد الـصُّوفية المُبتَدَعَـة المعروفة اليوم، ولم يكن يؤدِّي رابطة شركيَّة يدعو فيها غير الله ويتصوَّر فيها صورة الشَّيخ، ولم تكن صورة الشَّيخ في جيبه -كما تفعل الصُّوفية اليوم- ولا يعلِّقها على جداره في مـصلَّاه، بـل كان كثَّ اللحيةِ متَّبعًا لسنَّة النبي ﷺ.

أمَّا أنَّه سمَّى مقاتليه بالمريدين فإنما فعل ذلك بُغيَةَ اختراع اسم يجمعهم حولـه كـما يجتمـع مريدو الصُّوفية حول شيخهم تشبيهًا لتنظيمه وحركته بالتنظيم الصُّوفي وحركتها[٤].

(١) المصدر السابق (ص:٢٠٠).

(٢) انظر: الحركة السنوسية في ليبيا (١/ ١١٢).

(٣) انظر: السيد محمد رشيد رضا/ محمد أحمد درنيقة (ص:٢٠٢).

(٤) انظر: الفروق بين أهل السنة والصوفية (ص:٤٩٩).

نلحظ من هذا النَّقل وما قبله مسألةٌ هي غايةٌ في الأهميَّة وهي التَّأكيد على الالتزام بالكتاب والسنَّة ونبذ الخرافة والجهل والبُعد عن البِدَع سواءً العلميَّة أو العمليَّة، وهذا بلاشكّ يُعدُّ فيصلًا في المسألة وحدًا مانعًا ، فكلما اقترب الصُّوفي من حقائق الكتاب والسنَّة وابتعد عن الخرافة والجهل والتَّصوف الفلسفي نجد ثمَّة القوَّة والفُتوَّة والفداء، وكلما تلبَّس بالخرافة والجهل وتفلسف في تصوُّفه وانشغل بالجمع والفرق والفَنَاء والبَقَاء والصَحْو والمحو، وانشغل بالقبور دعاءً واستمدادًا نجد الخُنُوع والتَّخاذل والضَعف والاستخذاء، والتأريخ بأدواره المختلفة شاهدٌ على ما نقول.

وكما يدندن البعض بقوله: لا يجوز أن نمحو تأريخ الصُّوفية بجرَّة قَلَم وأنَّهم جزءٌ مؤثِّر في الأُمَّة؛ نقول نحن كذلك: لا نستطيع أن نمحو حقائق التَّاريخ بجرَّةِ قَلَم، ولا نستطيع نسيان الويلات التي حاقَت بالأمة جرَّاء تسلُّط الصُّوفية على عقائدها وعباداتها، فها هي الكُتُب مزبورة لم تجفْ أحبارها، وها هي مواقف القوم ننقلها كما هي من غير تزيّد ولا مبالغة، لنرى من هو الطَّرف الذي أساء للأمَّة عبر تغييبها عن واقعها وإشغالها بالقبر دون الصدر، وبالرقص دون الطَّمأنينة، ومن هو الذي رَاهَنَ ويراهن عليه أعداء الأمة لنرى أي الكفتين هي الخاسرة.

يقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: «إنَّ الحكومة الفرنسيَّة تُعظِّم زاوية من زوايا الطُّرق، أكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأنَّ الذي يحارب الطُّرق إنما يحارب فرنسا!!»[(١)].

ويقول الشَّيخ إحسان إلهي ظهير / في كتابه البريلوية: (إنَّ الباحث والقارئ يندهش ويتحيَّر عندما يرى أنَّه لم تَقَمْ حَرَكَةٌ في شبه القارَّة لمواجهة الاستعمار إلا وخالفها البريلوي وكفَّر زعماءها).

ثم يذكر / هذه الحادثة العجيبة التي كانت بالهند والتي سُمّيت بحركة عدم الموالاة

(١) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا (ص:٥١- ٥٢).

يقول الشَّيخ: (في سنة (١٩٢٠م) لما رأى المسلمون الهنود أن الإنجليز لا يريدون أن يخضعوا لطلباتهم ويفوا بعهودهم ويغادروا بلادهم قاموا بإقدامٍ آخر، وهو أن يترك الهنديون المعاملات مع الإنجليز المستعمرين ويتجنبوا عنهم، ويعلنوا تَرْكَ ولائهم ويقاطعوا الحكومة الإنجليزيَّة مقاطعةً تامةً، لا يطاوعونهم ولا يشاركونهم في أمورهم ولا يشتركون معهم، ولا يقدمون لهم الجمارك والضَّرائب ولا يأخذون منهم المراعاة ولا يكلِّمونهم فيما بينهم، فعاونهم في ذلك طلَّاب الحُرِّيَّة من الهندوس أيضًا على رأسهم غاندي، فتكونت ثورة عظيمة ضدّ الاستعمار لم يُرَ لها مثالٌ سابق، واشترك فيها جميع طوائف المسلمين وقادتهم وعلماؤهم، غير البريلويين فلم يشاركوا في هذه الحركة الوطنيَّة، بل عَكْس ذلك أنَّهم بادروا بإصدار فتاويهم ضدَّ القائمين بهذه الحركات مناصرةً للاستعمار ومساعدةً للمستعمرين رافعين الأصوات أن ترك موالاة الاستعمار الإنجليزي الغاشِم الكافر حرام، فقد كتب البرلوي كتيبًا مستقلًا قال فيه بكل صراحة: إنَّه لا جهاد علينا مسلِمي الهند بنصوص القرآن العظيم، ومن يقول بوجوبه فهو مخالف للمسلمين ويريد إضرَارهم)[1].

يقول الكاتب الإنجليزي فرانسس رابنسن:

(إن البريلوي كان عمله حماية الحكومة الإنجليزيَّة، فإنَّه أيَّد الحكومة في الحرب العالميَّة الأولى، واستمرَّ هذا التأييد للحكومة حتى أيام حركة الخلافة سنة (١٩٢١م) وعَقَدَ مؤتمرًا في بريلي وجمع فيه العلماء الذين كانوا يخالفون ترك موالاة الحكومة)[2].

وهذا حسن أفندي القحي الصُّوفي شيخ مشايخ صوفيَّة داغستان الذي يصفونه بأنه (القُطب الربَّاني والغوث الصَمَدَاني العارف بالله وولي الله بلا نزاع) عقد في عام (١٩٢٢م) مؤتمرًا دعا إليه (٧٢) عالمًا، وفي نهاية المؤتمر أعدَّوا رسالة برقيةٍ ليرسلوها إلى زعيمِهِم لينين في

---

(١) كتابه المحجة المؤتمنة، نقلاً عن البريلوية إحسان إلهي ظهير (٤١-٤٢).

(٢) سيبتر زوم امنك اندين مسلمز (ص:٤٤٣). نقلًا عن البريلوية للشيخ إحسان إلهي ظهير.

موسكو في الكرملين مضمونُها ما يأتي: (إلى زعيم البروليتاريَّة العالميَّة لينين! نحن متأسفون على مرضك ومنتظرون لشفائِك، وإنَّنا واثقون من انتصارك ونحن معك، فإلى الأمام على طريق النَّصر)![١].

وقد بايع الجزائريون الأمير عبدالقادر الجزائري بعد دخول الفرنسيِّين الجزائر، فقادهم إلى جهاد الفرنسيين طيلة سبعة عشر عامًا، ولكنه استسلم في آخر الأمر، وسلم نفسه إلى الفرنسيين فنفوه إلى خارج البلاد، ثم أطلقوا سراحه بعد أن اشترطوا عليه أن لا يعود إلى الجزائر، ورتّبوا له مبلغًا من المال يأخذه كل عام، وزار باريس، ثم استقرَّ في دمشق حتى تُوفيَ بها[٢].

وحين انهزمت فرنسا سنة (١٨٧٠م) (أظهر كمال الأسف وتزيَّن بنيشانها الأكبر[٣] إظهارًا لاعتراف مصادقتها، وتخلَّى عن ملاقاة النَّاس مدَّة..)[٤].

وحين قام ابنه محيي الدِّين بإعلان الجهاد ضدّ الفرنسيِّين مرةً أخرى، واتفق مع بعض زعماء القبائل في الجزائر، تبرَّأ عبد القادر منه، وكان ذلك سببًا في انفضاض القبائل عنه، وفَشَل حركته[٥].

وبعدما استقر بدمشق انشغل ببثِّ تراث ابن عربي، فقد أرسل الطيِّب الجزائري المالكي إلى (مدينة قونيّة لمقابلة الفتوحات المكيَّة على خطِّ مؤلِّفها العارف بالله الشَّيخ محيي الدِّين ابن عربي، وقرأها مع الشَّيخ المذكور هناك مرَّتين مقابلة، وبعد مجيئهما قرأناها جميعاً على الأمير مع

(١) الفروق بين أهل السنة والصوفية (ص:٥٥٩).

(٢) الأعلام (٤/ ٤٦).

(٣) وكان قد أهدي له لدى زيارته باريس عام (١٨٦٧م).

(٤) الرحلة الحجازية (٣/ ٢٠٠).

(٥) أعلام المغرب العربي (١/ ٢١٦).

التزامنا لإصلاح نسخنا على النُّسخة المقابلة على خطِّ المؤلِّف)[1] كما ذكر ذلك البيطار في الحِلية.

وقد كانت فرنسا تفرض له راتبًا، يقول البيطار:

(ثم لم يستقر به الأمر أيامًا حتى جاء عند خليل باشا بأمر السُّلطان المعظم يخبره بأنَّ مراد الدَّولة العليَّة أن تعيِّن له معاشًا يكفيه مع الاتساع هو ومن يلوذ به، فسَّر المترجم لذلك، ووجَّه لأمير المؤمنين ما يليق من الدَّعوات غير أنَّه اعتذر بأن إمبراطور فرنسا قد عيَّن له ما يكفيه ويكفي من معه)!![2].

وبعد الجهاد والفداء (وفي أول رجب سنة (١٢٧٩هـ) توجَّه إلى الحجاز من جهة البحر، فنزل بكل عزٍّ وإكرام إلى مكَّة، وبعد أيامٍ أخذ الطَّريقة الشَّاذلية عن العارف بالله الشَّيخ محمَّد الفاسي، واختلى مدةً في غار حراء، فبلغ مطلوبه ونال مرغوبه، وفُتِحت له كنوز الأسرار وكُشِفَ له عن رموز الأستار..)[3].

وبعد الجهاد أيضًا:

(وتوجَّه إلى فرنسا فاهتزَّ له القطر لقدومه وتحرَّك لاستقباله ركن العاصمة من حاكمه ومحكومه، ونال من القَدْر أعلاه ومن الاحتفال أجلاه وأولاه، وقابل الإمبراطور نابليون، وجلس معه ساعة وبذل له من الاحترام اتّساعه، ثم بعد أيامٍ رحل إلى لوندرا مملكة الإنكليز وحصل له من الدَّولة والأهالي كل قدْرٍ عزيزٍ، ثم بعد تمام اطّلاعه على تلك المحلَّات رجع إلى باريس وكان قد زِيدَ له في معاشه في كل سنة خمسون ألف فرنك، فصار جملة معاشه في كل

(١) حلية البشر في أعلام القرن الثالث عشر (٢/ ٧٥٧).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٨٩٦).

(٣) نفس المصدر (٢/ ٨٩٨).

شهر ستمائة ليرة فرنساوية اثنا عشر ألف فرنك)[١].

وفي عام (١٨٧٠م) حَمَل أحمد التجاني شكر الجزائريِّين للفرنسيِّين! وبَرْهن على ارتباطه بفرنسا، فتزوَّج أوريلي بيكار، وبفضلها تحوَّلت منطقة كوردان من أرض صحراويَّة إلى قصرٍ مَنْيفٍ رائع، وهو أول مسلمٍ تزوج بأجنبيَّة[٢].

ومما يذكر أن مدام أوريلي بيكار قد أصدرت كتابًا أسمته أميرة الرِّمال، تعني نفسها، ملأته بالمثالب والمطاعن على الزَّاوية التجانية، ومسلِمي الجزائر، وذكرت أن أحمد التجاني قد تزوَجَهَا على يد الكردينال «لا فيجري» على حسب الطقوس المسيحيَّة، وبقيت أوريلي على كاثوليكيتها، ولما توفي عنها زوجها خلفه عليها وعلى السّجّادة التجانية أخوه علي، فأطلق عليها لقب (زوجة السَّيدين)[٣].

وقد كافأتها السُّلطات الفرنسيَّة لقاء ما قدمته من خدمات بوسام جوقة الشرَّف، وقالت عنها في براءة التوجيه: «إنَّ هذه السَّيدة قد أدارت الزَّاوية التجانية إدارةً حسنةً كما تحبُ فرنسا وترضى، وساقت إلينا جنودًا مجندةً من أحباب هذه الطَّريقة ومريديها، يجاهدون في سبيل فرنسا كأنَّهم بنيانٌ مرصوص»[٤].

يقول محمَّد كرد علي في مذكراته:

(العجيب ألَّا يطلع بسرِّ الطُّرق الصُّوفية ولا يفهم كتب القوم إلا الجهلة المتعبِّدون على نحو ما نرى في الطَّريقتين اللَّتين جاءت إحداهما -وهي القادريَّة- من الشَّرق وكانت اختراعًا

---

(١) حلية البشر (٢/ ٨٩٨).

(٢) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا (ص:٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص:٥٢)، التجانية (ص:٦١).

(٤) التجانية (ص:٦٢).

إنكليزيًا صَرْفًا، وجاءت الأخرى من الغرب وهي بضاعةٌ فرنسية مَحْضَة)[١].

وقد نقل هذا الكلام عبد الرحمن الجيلالي صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام مستنكرًا -وهو صوفيَّ المشرب- ثم علق قائلًا: (ولعلَّ كرد علي يقصد من قوله: أولئك المعروفين، ممن جاء أخيرًا من مدَّعي المشيخة الذين تزعموا هاتين الطَّريقتين اللَّتين أشار إليهما كرد علي، وكانوا فعلًا عملاء متعاونين لمصلحة الإنكليزي والفرنسي، فإن كان هكذا فنعم إذن)[٢].

يقول زعيم حزب الأمة السُّوداني الصَّادق المهدي-وهو من أحفاد أحمد المهدي صاحب الحركة المهديَّة في السودان-:

(الإسلام الصُّوفي منذ نشأته اتَّسم بإسقاط واجب الجهاد، وبالتَّخلي عن الإيجابيَّة الاجتماعيَّة فكان أشبه بحركة انطواء، مما سهَّل على جماعته التَّعايش مع نُظُم سياسيَّة فرضت سلطانًا على المجتمع، وهكذا كان حال الإسلام الصُّوفي في السُّودان في الغالب، لذلك عندما همَّ الغزو الثنائي غزو السُّودان، كان من سياسته محاربة التطرُّف (المهديَّة) بالصُّوفية، ولذلك شُجِعَتْ الطُّرق الصُّوفية تشجيعًا كبيرًا لاسيّما تلك التي عادت المهديَّة، لم يكن الحكم الاستعماري متخوفًا من الإسلام الصُّوفي؛ لأنه كان يتوقع إمكان التعايش معه وإمكان التحالف معه..).

ثم يقول: (لقد كان نظام الحكم الاستعماري مطمئنًا للفكر والنَّهج الصُّوفي)[٣].

ويقول محمَّد فهر شقفة:

(ونرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أنَّ نذكر أن الحكومة الفرنسيَّة في زمن

---

(١) (٣/ ٧٣٥).

(٢) انظر: تاريخ الجزائر العام (٣/ ٢٥٦) دار الثقافة بيروت.

(٣) انظر: العرش والمحراب (٣٩٨).

الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطَّريقة -التجانية-، واستأجرت بعض الشيُّوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا؛ لكنَّ مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطَّريقة التجانيَّة، وأنَّها فرنسية استعماريَّة تتستَّر بالدِّين، فهبّت دمشق عن بَكْرةِ أبيها في مظاهرات صاخِبَة)[1].

إنَّنا حين نحاكم التَّصُّوف إلى التَّاريخ ليس معنى هذا أنَّ هذه المحاكمة تعدُّ فيصلًا هاهنا أو أنَّ هذا السُّلوك هو الصَّواب -محاكمة التَّصوف إلى التَّاريخ- إنَّ الصواب هو أن نحاكم التَّصوف إلى المنهج الرباني قربًا وبعدًا.

وأقول أخيرًا: إنَّنا بذكر ما مرَّ لم نكن متتبعين لخطأ ولا ناشرين لملامٍ قد غيب التاريخ أوصاله ولا باحثين عن رذيلةٍ نكشف بها ما تصرَّمت عليه السنون، ولكنا ننظر لبعض بني قومنا وقد أعيتهم الطَّريقة فصاروا يتمسَّحون بباطلٍ من القول بُغيَة تأليف قلوبٍ على حساب الحقيقة، وإنَّنا مع رحمتنا ببني قومنا وإشفاقنا عليهم إلا أنَّ رحمتنا بهم وإشفاقنا عليهم لا يجعلنا في موقف المبرر لضلالِ من ضلَّ، فالصُّوفية وإن كانت جزءًا من هذه الأمة إلا أنَّها لم تكن في يوم هي محطّ الصدارة والريادة بل هي أولى بكل دعوةٍ حانيةٍ مشفقةٍ تتلمَّس موطن الضَّلال عندها بمبضع الطَّبيب تصلحه وتعالجه مع دعواتٍ بالرَّحمة تترى تبلغ عَنَانَ السماء، لا أن نتشبث بموطن هدايةٍ لهم في جهادٍ أو موقف شرفٍ ومروءةٍ ناسين أو متناسين كمّاً هائلًا وإرثًا ضخمًا من الضَّلالة والإضلال.

٤-العداء السافر لأهل السنَّة ورميهم بأقذع الصفات: ففي ردٍّ لشيخ مشايخ الطُّرق الصُّوفية بمصر على سؤال حول السَّلفية يقول: (السَّلفية الصَّحيحة لا غُبار عليها، لكنَّنا ضد السَّلفية المنحرفة، وفي اعتقادي لا توجد الآن سلفيَّة سليمة)!!

ثم يقول: (وفي الوقت نفسه هناك من لديهم دوافع لمحاربة الصُّوفية كالوهَّابيين، وذلك

---

(١) التصوف بين الحق والخلق (ص:٢١٧).

لأن المذهب الوهَّابي نفسه ضدّ الإسلام، وأغلب المتطرفين خرجوا من تحت عباءة المذهب الذي اعتمد على أشياء محرَّفة من كتابات ابن تيميَّة)(١).

ويذكر رئيس العشيرة المحمدية في مصر -ذات التوجُّه الصُّوفي الصَرْف - (محمد زكي إبراهيم) مسألة التوسل والخلاف فيها، ثم يقول: (ولم يَكَد يختلف على جوازه أحدٌ من السَّلف إلى القرن السَّابع، حيث ابتدع ابن تيميَّة هذا الخلاف الفتَّان، ولم يكن ليهتَّم به أحدٌ حتى تبنَّاه الوهَّابية منذ القرن الثَّالث عَشَر، لأسبابٍ سياسيَّةٍ وعصبيَّةٍ قبليَّةٍ، فمنعوا التوسُل إلى الله بصالحي الموتى وتستَّروا باسم التوحيد المظلوم!! ثم تلقفه عملاؤهم في مختلف البلاد فأثاروها حربًا مزَّقت شَمْل الأمَّة وكفت منها أعداءها)(٢).

وفي ردٍّ على سؤال من صحيفة (صندي إستريت تايمز) يقول محمَّد هشام قبَّاني في سؤال عن أهل السنَّة:

(وكأنك تقول: إنَّهم سرطان؟

ج: هم ليسوا بالسَّرطان، ولكنهم كالإخطبوط يتواجدون في كلِّ مكان)(٣).

ويقول أبو بكر المشهور - من صوفيَّة حَضْرَموت - بعد أن تكلم عن الأحزاب التي تعمل باسم الإسلام وينتقدها بقوله: (وتأثَّر غالب براجها الفكريَّة بالمدرسة التيميَّة النجديَّة، صانعة المجد الربوي في العالم الإسلامي، ورائدة الصراع العقائدي الباتر)(٤).

وقد كان أحمد قاديروف مفتي الشِّيشان- الصُّوفي- يظهر على شاشة تلفاز الحكومة (TVI) ويقوم بحَمَلاتٍ على جماعة التَّوحيد الإسلامية يبغِّضُهُم إلى النَّاس ويشوِّه صورتهم

---

(١) مجلة روز اليوسف - العدد (٤٠١٠) (١٦/ ٤/ ٢٠٠٥م).

(٢) انظر: مجلة البحوث والدراسات الصوفية العدد الأول صفحة (٣٠٨) وقد ذكرنا سلفًا بعضًا مما تفوه به القباني.

(٣) صنداي إستريت تايمز بتاريخ: (١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م).

(٤) انظر: كتاب التنصيص المثبوت (ص:٦٣).

في أنظارهم، وما من مرة إلا ويعيد فيها مقالة: (الوهَّابيون أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي قال وهو يمسك بعصاه: عصاي هذه خير من نبيِّكم)(١).

أما في داغستان فقد قام الصُّوفية بقيادة سعيد أفندي التَّشركي بمبادرة لإصدار تعديل في قانون المحكمة ينصُّ على حظر ما يسمُّونه بالوهَّابية، حتى أقنعوا الحكومة بضرورة ذلك، فأجابوهم إليه، فأصدروا بتاريخ (٢٧- ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٧م) قانونًا يُشبع رغبتهم ويشفي غليلهم(٢).

---

(١) انظر: الفروق بين أهل السنة والصوفية (ص:٥٦٣).

(٢) المصدر السابق (ص:٥٦٢).

خاتمة

وأخيرًا نقول: إنَّنا نخشى أن يؤاخذنا الله بعدم تبليغ دين الله كما يريده الله، ونخشى من انطماس حقائق الدِّيانة، وانتشار الطائفين حول الأضرحة والقبور بحجة العبادة، وحلول الأذكار المبتدعة بالحركات الراقصة محل الأذكار النبوية التي تطمئن بها القلوب المؤمنة، وانتشار الخرافة والجهل محلَّ العلم واليقين، وتعطُّل الأسباب بحجَّةِ الكرامات، وفَهْم الدِّين عن أرباب التَّصوُّف.

يقول الأستاذ محمَّد فريد وجدي:

(يجب أن نعذر الأوروبيِّين إذا صدَّقوا جميع الأكاذيب الملفَّقة عن الإسلام والمسلمين، وهم غير ملومين إذا أظهروا العداوة لديننا ماداموا لا يجدون نُصْبَ أعينهم غير مشاهد البدع التي أحدثها رجال ذوو فكرٍ سقيم، وارتضاها الناس وزادوا عليها وما إلى ذلك من الهرطقات والأخطاء المتنافية مع الطبيعة البشريَّة ومع نواميس المدنيَّة، وكيف نرجو أن يفهم الأوروبيون روح ديننا نفسها وهو الدِّين الوحيد الذي يكفل السَّعادة الكاملة ما داموا لا يعرفون غير بعض مظاهر الإسلام الخارجيَّة التي يشهدونها كل يوم مثل الحشود الضَّاجة في الشَّوارع السَّائرة خلف الرَّايات والطُّبول، والاحتفالات المستهجنة المنافية لكل منطقٍ أخلاقي والتي تُقام في جميع مُدن مصر يوم مولد الرَّسول، وعقد حلقاتِ الذِّكر الضَّخمة أمام جمهور يتألَّف من آلاف الناس، وإرسال الابتهالات الصوفية في صوت جهوري وعلى وقع الانحناءات ذات اليمين وذات اليسار وما شابه ذلك)[1].

(١) انظر: كتاب دفاع عن الإسلام، الكاتب لورا فيشيا فاغليري (ص:١٢٢).

ويقول الباحث د. عامر النجار: (وإذا كان القرن السَّابع الهجري في مصر يمثِّل في أغلب فتراته اضمحلالًا اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا إلا أنَّه كان عصر انتشار الطُّرق الصُّوفية، البدويَّة، والشاذليَّة، والدسوقيَّة، وازدهرت فيه وقويت طريقتا الرِّفاعيَّة والقادرَّية).

ثم يعقِّب قائلًا: (ممَّا يجعلني أقول بحذرٍ شديدٍ حتى أوضح هذه الفكرة: إنَّه يحتمل مع وجود تدهورٍ في الحياة الاجتماعيَّة والسَّياسيَّة والاقتصاديَّة لدى شعبٍ من الشعوب أن يبدأ انسحاب النَّاس وتلمُّس أثر الهزيمة واضحًا في فكرهم، بعضهم يهرب من الحياة منعزلًا في صومعةٍ، يعبد ربَّه بعد أن أخفق في الحياة التي أجبرته ظروفها الاجتماعيَّة والسَّياسيَّة والاقتصاديَّة على الانسحاب من أنشطتها)[1].

ثم ينقل عن الباحث هيلر قوله: (إنَّ ذيوع التَّصُّوف يصحب تدهور الحضارات ... والذي يُفهم من هذا الرَّأي ببساطة هو أن نضج التَّصوُّف وتطوره يصاحِب دائمًا تدهور الحضارة، أي: أنَّه لا يمكن أن تكون هناك حضارةٌ متقدِّمةٌ وزاهية يصاحبها تصوف ناضج ومكتمل)[2].

ولكن مع هذه التَّحركات التي يُرادُ منها ولها أن تنشر الخُرَافة والشِّرك بين جنبات الأمة وتميت روح العِزَّة والفداء، وتنهمك في حلقاتٍ راقصةٍ من الذِّكر المزعوم، وتعتمد اعتمادًا كليًا على كرامات مدّعاة في تعلُّقٍ عجيبٍ.

فما هو واجبنا لمواجهة هذا التَّيار الضَّال؟ وما هو العمل الذي يرفع الإثم ويبعد عنا اللائمة أمام الحقّ جلَّ وعلا؟

---

(١) الطرق الصوفية في مصر، د. عامر النجار (ص:٢٨٢).

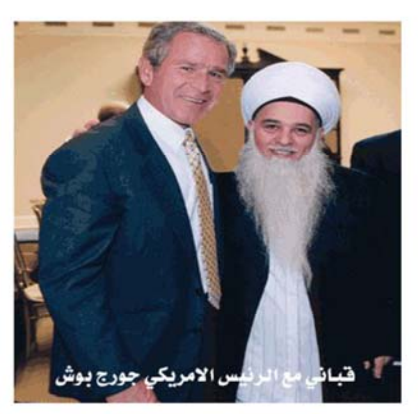
(٢) انظر: كتاب التصوف طريقًا ومذهبًا/ الدكتور محمد كمال جعفر (ص:٢٨٣).

ونبِّه هنا إلى أنَّ نظامنا العقدي هو أقوى من كل الأنظمة، وأنَّ لدينا من القِيَم والمناهج ما يمكننا أن نطرح رؤيةً متكاملةً لإصلاح الفساد القائم، لكننا نحتاج أن نغادِر مرحلة الدِّفاع والانطواء إلى مرحلة بناء الخطوط المتقدِّمة وفتح خطوط حيويَّة في أرض الآخرين.

والله المستعان والحَمدُ لله ربِّ العالمين...

ملحق صور


قباني مع الامير شارلز


قباني مع الرئيس الامريكي جورج بوش


قباني مع مساعد الرئيس الامريكي دك تشيني


قباني مع جاك استرو


حقاني و قباني مع الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف

فهرس المحتويات

❖ ❖ ❖